رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى
للإعلام والثقافة والفنون

العدد (2509) السنة التاسعة
الاثنين (11) حزيران 2012

10

"أكليل الورود" أول مجلة تصدر في العراق

لمناسبة عيد الصحافة العراقية

من طرائف الاشتراكات في الصحف

فخري حميد القصاب
باحث

كانت الاشتراكات في الصحافة العراقية ايام زمان تشكل العمود الفقري لمسيرة الصحيفة او المجلة وديمومة استمرارها، اذا ما استثنينا موارد الاعلانات الضئيلة، فكان الاشتراك هو المورد الطبيعي لها والعين الذي لا غنى عنه في دقق الحياة في شراييها لسد نفقات الطباعة والورق واجور العاملين وغيرها رغم ان قيمة هذه الاشتراكات كانت زهيدة لا ترهق كاهل المنضوين الى قائمة المشتركين فيها. وكان التلكؤ في تسديد ما عليهم من ابرز العوامل التي كانت تعيق اصحاب هذه الصحف والمجلات على مواصلة صدورها. فكان صاحب الجريدة او المجلة يحث اصحاب القلم والفكر وطلبة المدارس وارباب المهن والحرف على الاشتراك فيها. واذا ما قبل احدهم الاشتراك يطالبه بتسديد الثمن سلفا، حيث ان الاعتماد على صرفيات الصحف من غير الاشتراك لم يكن مشجعا او مجزيا لتكاليفها، وهذا ما حمل بعض الصحف الى ان تذبح في صدر صفحاتها شرطا يقول: "من قبل عددا عد مشتركا، وهذا ما نهجت عليه مجلة (لغة العرب) التي كان يصدرها الاب انستاس ماري الكرملي، اذ اعتلى صدر العدد الاول منها، الصادر في ١ تموز ١٩١١ نداء (الى الادباء والمشتركين والكتاب) تضمن جملة من الامور ومنها "من قبل العدد الاول يعد مشتركا" و "لايلتفت الى طلب الاشتراك ان لم يكن معه البدل" وكررت المجلة هذا النداء بعددها الثاني الصادر في ٢ آب ١٩١١.

كان هذا دأب معظم الصحف والمجلات الاهلية التي كانت تصدر انذاك، والتي كانت تعاني من ظروف تأخير الاشتراكات او التلكؤ في تسديدها، اما الصحف الاخرى وهي التي كانت تصدرها الحكومة، فلم تك بحاجة الى الاشتراكات لسد عجزها وتغطية مصاريفها كونها ممولة ومدعمة من قبل الحكومة، وبالتالي فليس ثمة ما يدعوها الى نشر التنبيهات والرجاءات، والالتماسات، للاسراع في تسديد اقيام ما يترتب بذمة المشتركين.

وهذه نماذج مختارة من النداءات والاعلانات التي تؤكد معاناة الصحفيين الاوائل في هذا الجانب وبالقدر الذي يتسع له المجال.

* خير البرعاجله

تحت هذا العنوان نشرت جريدة (نينوى) التي كان يصدرها المرحوم فتح لله سرسم في الموصل، بعددها (٢٣) الصادر في عام ١٩١٠ نداءً الى المشتركين فيها يقول: "ان البعض من مشتركي جريدتنا في الحاضرة والخارج لهم ثمانية اشهر منذ قبلوها ولم يفوا للان بقيمة الاشتراك فنطلب منهم لكي يسرعوا بتسليم بدل الا ابوته وسلفا نشكر فضلهم".

ويبدو ان هذا النداء ذهب ادراج الرياح، اذ لم يجد اذانا صاغية من المشتركين حتى ان بعضهم سلخ سنتين من التأخير دون ان بادر الى دفع ما استحق عليه من بدلات وهذا ما يستشف من مضمون الاعلان الذي نشرته الجريدة المذكور بعددها (٨٩) الصادر في عام ١٩١١ والذي ناشدتهم فيه، باسلوب رقيق!، من ان تلكؤهم في التسديد يؤثر على حياة الجريدة ونموها.. يقول الاعلان:

إلى وكلائنا وبعض مشتركينا الكرام ..

نرجو ان تبذلوا اشتراكات السنة الاولى والثانية المتأخرة ان كان بين المشتركين من يصعب عليه دفع البدل فليسدد ما عليه ويطلب قطع الاشتراك، وان كان التأخير ناجما عن عدم العناية فقط فهو يؤثر على حياة الجريدة ونموها ويعرقل مساعينا في الخدمة.. اهتمام قليل ينشطنا ويدلنا على تقدير الخدمات"!

* ارسال الاشتراكات والتقاسيط

وما عانته جريدة نينوى كانت تعانيه مجلة (اللسان) التي كان يصدرها المرحوم احمد عزت الاعظمي في بغداد، فقد ذاقت هي الاخرى الامرين من تهاون المشتركين في تسديد ما بذمتهم من مستحقات الاشتراكات السنوية، مما اضطرها الى ان تنشر احيانا على صفحاتها النداء اثر النداء والرجاء تلو الرجاء، مطالبة المشتركين بدفع ما عليهم. فما هي تنشر بعددها (٨) الصادر في عام ١٩١٩ هذا الاعلان المشحون بالمرارة والرقة معا.

"مضى على صدور المجلة نصف سنة ونيف، ونحن نسعى ونجد لارضاء المشتركين ولكن لحد الان لم يتكرم علينا احد بدفع الاشتراك، والتقاسيط ولهم الفضل".

ولم نجد تنبيهات ونداءات مجلة اللسان بهذا الصدد فتيلا، وظلت غارقة في ضائقتها المالية، الام الذي دفع ببعض رجالات السياسة الى دعم هذه المجلة ماديا، اذ تبرع السيد طالب باشا النقيب بمبلغ (١٥٠٠) روبية، حينما مثلت رواية "وفود النعمان على كسرى انو شروان" لصالح المجلة.

* جريدة "حبزبوز" والمشتركين

رغم ان جريدة "حبزبوز" التي كان يصدرها المرحوم نوري ثابت كانت تلاقي اقبالا كبيرا من القراء ولاسيما بين اوساط المثقفين الا ان هذه الجريدة كانت هي الاخرى تعاني من الصعوبات المالية المتمثلة في تلكؤ المشتركين في دفع اشتراكاتهم السنوية. ولذلك كانت لا تفتأ تنشر بين الحين والاخر اعلانا بدعوهم الى تسديد اشتراكاتهم باسلوب يجمع بين القليل من الجد والكثير من العزل والسخرية.. وهذا ما تمثل باعلانها الذي رشقت به المشتركين باول عدد صدر منها في ٢٩ ايلول ١٩٣١: الى حضرات المشتركين الكرام!

من اولها!.. تالي لا نسوي قنزة ونزة.. معلوم حضرتكم! الداعي (قابسز) والوكت حامض! والجيب مضروب اوتي.. لاجل كل ذلك! ومن فضلكم عجلوا ببدلات الاشتراك وخلونا نشتغل مثل الاوادم! يرحم والديكم وهاي تركناها يم نجابتكم!

ومثلما عهدنا المشتركين في الصحف الاخرى تعهدهم بالمشتركين في جريدة (حبزبوز) اذ هم بدلا من ان يعطوها الاذن الصاغية اعطوها (الاذن الطرشة!) مما حدا بـ(حبزبوز) الى ان ينشر اعلانا آخر بالعدد (١٢) الصادر في ١٥ كانون الاول ١٩٢١ يؤكد فيه على ضرورة دفع الاشتراك ولكن باسلوب آخر وكأنه يتمثل بقول الشاعر:

لقد اسمعت اذ ناديت حيا
ولكن لا حياة لمن تنادي

(الى مشتركينا الكرام..

نرجو من حضرات مشتركينا الكرام الا يستعجلوا بتسديد بدلات الاشتراك لان هذه الادارة في غنى عن (الفلوس) ولان (العجلة من الشيطان الرجيم!).

وتستمر معاناة هذه الصحيفة مع المشتركين في دعم مبالاتهم حتى الاعداد الاخيرة منها، حتى ليبدو ان اليأس راح يتغلغل في اعماق صاحبها (حبزبوز) شاكيا امره الى الله الواحد القهار.

حضرات المشتركين..

ان صاحب الجريدة بعد ان عمل معنا حساب دقيق ظهر له نتيجة الحساب ان ادارة الجريدة في غنى عن الفلوس فامرنا ان لا نطالب احدا من المشتركين الى ان تصرف هذه الدراهم الموجودة وبعد (اكو رب كريم!)

التوقيع / مدير ادارة

* الكرخي يعاتب ثم يهجو

اما صاحب جريدة (الكرخ) المرحوم الملا عبود الكرخي فكانت معاناته اشد مرارة مع بعض المشتركين حتى لكأنك تتلمس هذه المرارة صارخة في شعره. فقد قال من قصيدة بعنوان (عراقيل الصحافة) نظمها في عام ١٩٢٨.

فلوس اشتراكاتي اقبضت
قيمة الحمص والبصل
بـ (المشترك) والله حرت
حتى غدا بعقلي خلل
سنتين اذا عنه اسكتت
لا تعتقد بدفع (بدل)

ولما طفح كيل الكرخي لم يجد بدا من ان يجعل الاشتراك نقدا في جريدته، فقال من قصيدة تحمل عنوان (زمر ابنج يا عجوز!) التي نشرها في جريدته (الكرخ) في عام ١٩٢٩.

اشتراك (الكرخ) نقدا صار جوز
لا تقلق زمر ابنج يا عجوز..
احسن البيعات عد باثر عد
وانكس البيعات، غد وبعد غد

ولم يذعن الكرخي للامر الواقع الذي تقتن المتقاعسون في فرضه على الصحافة، فارتأى ان يستعين بتجاريب المثل (اخر الدواء الكي) ليواجه بعض النماذج من المشتريكن الذين تنام في جيوبهم، ملء جفونها، اشتراكات خمس سنوات من الاستحقاق دونما وجل او خجل، فراح يهجوهم، بعدما يئس من العتاب، باقذع الالفاظ ويصفهم باشنع الصفات.. فتارة يصفهم بشعره، وتارة يلاحقهم بشخصه.. وتلمس ذلك واضحا في قصيدته (متاعب الصحافة) التي نشرها في جريدته في عام ١٩٣٢ والتي يقول فيها هاجيا انموذجا من هؤلاء.

عندي مشترك حمنين
يصلح للدهن سجين
اداعية صار خمس سنين
اقره باذنه ما يسمع

×××

بداره يختل ويرتاب
يعلم ابنه فالكذاب
اذا يطرق (الكرخي) الباب
اخبره والدي توجع

واخيرا.. فهذا جانب من هموم ومعاناة رواد صحافة ايام زمان مع المشتركين، ناهيك عن همومهم ومعاناتهم مع جور وتعسف السلطات انذاك ومكابداتهم المهنية الاخرى.. فرحم الله الراحلين من هؤلاء الرواد، ونسأله اللطف بالاحياء منهم – امد الله في اعمارهم – كلما تداعت لهم ذكريات معاناتهم مع المشتركين وغيرهم!

جريدة الاتحاد 1986

سطور من تاريخ الصحافة الشيوعية

حارث الخضري

يبدو الحديث عن الصحافة الشيوعية العراقية مغامرة لذيذة من نوع خاص... فلو علمنا ظهور اول صحيفة يسارية اقترن بالسنوات الأولى لقيام الدولة العراقية الحديثة، يصبح من السهل ادراك ان هذا التاريخ قادر على منحنا صورة متكاملة ومثالية عن التاريخ العراقي الحديث بما يشتمل من تطورات اقتصادية واجتماعية وفكرية وسياسية.

من جانب آخر واساسي، لا يمكن للمتابع لخريطة الاعلام العراقي اليوم، الا ان يقر بحقيقة ان لمسات الصحافة الشيوعية واضحة الملامح بشكل لا لبس فيه على اغلب مفاصل الصحافة العراقية.

وتظهر هذه الفكرة جلية لاسيما اذا علمنا ان الصحافة الشيوعية كان لها السبق والريادة على باقي الصحف العراقية في اكثر من جانب خصوصا فيما يتعلق بشكل المطبوع ومكائن الطباعة.

هذه العوامل وغيرها، تسمح لنا بأن نقول ان هذه الصحافة شكلت مدرسة حقيقية أثرت وستؤثر على مفاصل الاعلام العراقي ولسنوات طويلة.

* البدايات

يتفق مؤرخو تاريخ الصحافة العراقية على ان اول صحيفة يسارية ماركسية كانت صحيفة (الصحيفة) الصادرة عن اول حلقة يسارية عراقية بقيادة الماركسي الرائد (حسين الرحال). ظهر العدد الأول من (الصحيفة) يوم ٢٨ كانون الاول عام ١٩٢٤... ويبدو ان الصواب قد جانب السيد (فيصل حسون) عندما أرخ بـ١٨/١٢/١٩٢٤ كتاريخ لصدور العدد الاول من الجريدة في كتابه (صحافة العراق بين عامي ١٩٤٥- ١٩٧٠)

(الصادر بدون اية اشارة لا لسنة الاصدار ولا لدار نشر).

حققت (الصحيفة) قفزة نوعية آنذاك مقارنة بباقي الصحف فعلى العكس من جميع المطبوعات في تلك المرحلة، لم تسعَ (الصحيفة) للبحث عن الربح المادي، بل ان همها الاول انصب في سعيها لتغيير الناس. ويبدو هذا جليا من خلال معرفتنا انها لم تكن لتركز على الاخبار بذاتها او اخبار الفنانين بقدر تأكيدها على المواضيع ذات الطابع الفكري.

ولوحظ عليها ايضاً اهمالاً كثيراً في التعامل مع المواضيع السياسية مقابل اهتمام استثنائي بالظواهر والمشاكل الاجتماعية.

ويتفق المؤرخون ايضاً على ما تميزت به (الصحيفة) من جرأة استثنائية وشجاعة كبيرة في التعبير عن الرأي حتى فيما يخص بعض المواضيع الحساسة اجتماعياً مثل تحرير المرأة.

وقد أسهمت هذه الشجاعة في اغلاق الصحيفة عام ١٩٢٥ بعد صدور ستة اعداد ورغم الاغلاق عادت للصدور في ١٣ أيار عام ١٩٢٧ بجهود (عوني بكر صدقي) لتتوقف مرة اخرى بعد ثلاثة اعداد.

* صحافة الحزب الشيوعي العراقي

1 - كفاح الشعب

يحدد الشيوعيون ٣٠/٧/١٩٣٥ يوماً لصدور العدد الاول من الجريدة الاولى الناطقة باسم الحزب الشيوعي العراقي (كفاح الشعب).

صدر العدد الاول خلال فترة وزارة ياسين الهاشمي وبعيد انهيار انتفاضة الفرات الاوسط.

اعلنت "كفاح الشعب" منذ عددها الاول انها صادرة عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي العراقي مما شكل نقطة تحول فاصلة في العمل الحزبي.

صدرت الصحيفة بصورة سرية من أقبية مستشفى السكك الحديد في منطقة الكرخ في بغداد بجهود لافته من "عاصم فليح" سكرتير اول لجنة مركزية للحزب.

ومنذ العدد الاول من الصحيفة تصدر شعار "يا عمال العالم اتحدوا" صفحتها الاولى.... الهدف الاول للصحيفة يتلخص في نشر اهداف الحزب والتعريف به والتركيز على كيفية تطوير حركة العمال ونشر الوعي الطبقي بينهم، والدعوة الى تنظيم جهود هذه الطبقة الاجتماعية.

بلغ عدد التوزيع الخاص بـ"كفاح الشعب" آنذاك الـ(٥٠٠) نسخة، وما ان بدأت جهود الصحيفة تؤتي ثمارها مما شكل خطراً حقيقياً على حكومة ياسين الهاشمي، حتى بادر هذا الاخير الى شن هجمة شرسة ومؤثرة على الصحيفة وتنظيمات الحزب مما ادى الى توقف الجريدة عن الصدور في كانون الاول عام ١٩٣٥ .

٢- الشرارة

أثرت هجمة الهاشمي على التنظيم الشيوعي، لكن الشيوعيين العراقيين سرعان ما استطاعوا ان يعودوا وينظموا انفسهم على شكل مجاميع برزت منها على وجه خاص مجموعتا غالي زويد في البصرة وعبدالله مسعود في بغداد... والاخير من البصرة اصلاً لكنه وبسبب دراسته الجامعية في العاصمة نشط في بغداد واستطاع ان يعيد تنظيم مجموعة حزبية كان قد كونها زكي خيري.

وما ان احست مجموعة مسعود بامتلاكها لمقومات اصدار مطبوع حزبي حتى بادرت الى اصدار "الشرارة" كصحيفة حزبية رسمية ناطقة باسم الحزب الشيوعي العراقي في كانون الاول عام ١٩٤٠ في بغداد.

اثارت هذه الخطوة حفيظة الرفيق الخالد "فهد"، الذي كان خارج العاصمة حينها، مما دفعه الى سرعة العودة الى بغداد وانتقاد القرار مطالباً بتسليمه الصحيفة وهذا ما حدث.

افتقر الحزب أيام (الشرارة) لاية مكائن طباعية.. لذا عمل الحزب لطباعة صحيفته المركزية مستخدما آلة "ستنسل" حكومية وتكفل بهذه المهمة الخطرة "عبدالكريم عبدالجبار الصفار" المشرف على قسم الطباعين في الادارة العامة لسجل الاراضي.

استمر الحال على هكذا صورة حتى العام ١٩٤٢ والذي تسنى خلاله للحزب شراء آلة "ستنسل" خاصة به.

خلال شهره الاول لم تطبع الشرارة اكثر من (٩٠) نسخة، لكن الرقم تجاوز الـ(٢٠٠٠) خلال العام ١٩٤٢ مما شكل ظاهرة مهمة ايامها، عملت "الشرارة" ومنذ عددها الاول على فضح الاستغلال الوحشي الذي يتعرض له العمال في تلك الحقبة وتبنت نشر مذكرات وعرائض المتضررين على صفحاتها.

وعند المقارنة بين "كفاح الشعب" و"الشرارة" يجمع الباحثون على ان "كفاح الشعب" تميزت بشبابية اكثر، وبأجواء حماسية، متصلبة، وثورية وعلى النقيض من ذلك جاءت "الشرارة" بعيدة عن الآراء الثورية المستندة للعواطف لتعبر عن آرائها باتزان ورصانة.

3 - القاعدة:

صدر بشكل سري في كانون الثاني ١٩٤٣، اثر استيلاء مجموعة من المنشقين على مطبعة "الشرارة" استمرت (القاعدة على نفس خطى سابقتها "الشرارة" لتركز، في مواضيعها، على دعوة وتحريض العمال للضغط على الحكومة من اجل اصدار قانون يجيز العمل النقابي اضافة الى عملها الحثيث من اجل تعرية المواقف الحكومية من مطاليب الطبقة العاملة.

استمرت القاعدة بالصدور سرياً حتى منتصف عام ١٩٥٦ والذي شهد ولادة "اتحاد الشعب".

وقبل الخوض في الحديث عن الاخيرة، يجدر بنا ان نذكر ان الشيوعيين العراقيين استطاعوا خلال الاربعينيات اصدار صحيفتين علنيتين الاولى كانت "العصبة" باسم "عصبة مكافحة الصهيونية في العراق" عام ١٩٤٦ ترأس تحريرها "محمد حسين ابو العيس" وقد الغت اجازتها وزارة "أرشد العمري" وذلك ضمن سعي هذه الوزارة في مطاردة صحف الاحزاب السياسية.

وفي آذار ١٩٤٨ أصدر القائد الشيوعي "شريف الشيخ" جريدة "الأساس" اليومية، لكن الصحيفة تعرضت للتعطيل بعد وقت قليل من صدورها.

4 - اتحاد الشعب

قلنا ان "القاعدة" توقفت منتصف عام ١٩٥٦ لتترك المجال لظهور جريدة الحزب المركزية والتي نستطيع وصفها بأنها الاكثر شهرة.

صدرت "اتحاد الشعب" وكالعادة بشكل سري في بداية الامر، لتواصل نهج صحف الحزب السابقة نفسه... واستمر الحال هكذا حتى بعد قيام ثورة ١٩٥٨، وتحديداً في يوم ٢٥ كانون الثاني ١٩٥٩ لتصدر الجريدة المركزية للحزب وللمرة الاولى علنية.

كان صاحب امتياز "اتحاد الشعب" (العلنية) عبدالقادر اسماعيل البستاني. تميز الاصدار العلني بالتميز عن باقي المطبوعات.. فقد كانت الصحيفة تختلف عن الصحف الاخرى بالشكل والمضمون والاسلوب.

كان حجم "اتحاد الشعب" لافتاً، فهو اصغر من الحجم المعتاد واكبر من النصف ويقال ان ذلك يعود الى نوع مكائن الطباعة في مطابع الرابطة التي تطبع الصحيفة.

استمر هذا الحال حتى وصول مطابع جديدة من المانيا الشرقية لتصدر بالحجم المعتاد والطباعة "الروتايف".

تميزت "اتحاد الشعب" في تلك المرحلة بشعبيتها الكاسحة، درجة ان رقم المطبوع منها كان يتجاوز الـ(٢٨٠٠٠) نسخة يومياً، وعلى عدة طبعات، وهذا الرقم قياسي في تاريخ الصحافة العراقية حتى اليوم فيما لو أخذنا نسبة عدد السكان لعدد المطبوع.

تميزت مطابع "اتحاد الشعب" المستوردة من المانيا الشرقية بأنها الاحدث في العراق حينها حيث كانت هذه المطابع تستطيع ان تطبع ٤٠ الف نسخة وبأربع الوان خلال ساعة واحدة، يذكر ان المطبعة الجديدة نصبت في منطقة الشيخ عمر الصناعية.

لم يكن احد ليشك في نفوذ "اتحاد الشعب" الكبير بسبب المد الجماهيري الواسع حتى ليروي بعض الدارسين ان وزيراً فشل في تغيير بعض فقرات مقال افتتاحي للصحيفة مما اثار حفيظة الكثير.

استمرت "اتحاد الشعب" بالصدور العلني محافظة على نهجها الوطني والحرص على مصالح الشعب والكادحين حتى تم إغلاقها في آب عام ١٩٦١ .

5 - طريق الشعب

في اواخر عام ١٩٦١ عاود الحزب مرة اخرى اصدار صحيفته المركزية وبصورة سرية وباسم "طريق الشعب" والتي استمرت تصدر بهذه الطريقة وبسبب مواقف الحكومة والسلطات المتعاقبة حتى يوم ١٦ ايلول ١٩٧٣ والذي ارخ صدور العدد العلني الاول منها في بغداد... واظبت "طريق الشعب" على ذات النهج الوطني، واستقطب العديد من الاسماء اللامعة في سماء الصحافة العراقية حتى نيسان ١٩٧٩ حينما تعرض الحزب الى الهجمة البعثية الثانية مما ادى الى توقفها وصدورها فيما بعد بصورة سرية وبظروف بالغة الصعوبة اشرت مدى عظمة الاصرار الذي تمتع به الشيوعيون على مدى تاريخهم الطويل.

صدرت "طريق الشعب" في كردستان بعد اعلان الحزب للكفاح المسلح ضد نظام الدكتاتورية بداية الثمانينيات وعملت على تعرية وفضح النظام الصدّامي والذي شكلت له الصحيفة كابوساً حاول بشتى الطرق الوحشية التصدي له، لكنه فشل.

واثر انتفاضة اذار المجيدة ١٩٩١ وتحرير اقليم كردستان من سلطة الصدّاميين عاودت الجريدة الصدور علناً في اربيل والتوزيع سراً في باقي مناطق العراق بجهود منظمات الحزب.

ومنذ اللحظات الاولى لسقوط الدكتاتورية في ٩/٤/٢٠٠٣ سجلت "طريق الشعب" نفسها الجريدة الاولى التي توزع في بغداد، ولا يمكن نسيان المشاعر الجياشة التي استقبل بها البغداديون جريدتهم العتيدة.

* صحافة الحزب الصادرة باللغة الكردية

شكلت الحقوق العادلة للكردستانيين هدفاً غاية من السمو ضمن اهداف الحزب الشيوعي العراقي، وانطلاقاً من هذا الاهتمام شجعت قيادة الحزب الفرع الكردي للحزب باصدار صحيفته الخاصة ئازادي – الحرية في نيسان ١٩٤٥.... صدرت "ئازادي" بصورة سرية الى ما بعد ثورة ١٤ تموز لتبصر بصورة رسمية وعلنية في الاول من ايار عام ١٩٥٩ لتتواصل حتى اغلاقها عام ١٩٦٠ .

ومع التنقل بين العمل السري والعلني كان للصحافة الكردية الشيوعية اهتمام خاص لدى الحزب وتتابع الاصدارات مروراً بـ(ي□ نوي) وانتهاءً بـ(ربكاي كوردستان).

من ادب الصحافة

ابراهيم صالح شكر يكتب عن ولده

خالد محسن اسماعيل
باحث عراقي راحل

لم تعرف الصحافة العراقية في تاريخها الحافل صحفيا مهاجما عنيفا داميا مثل الكاتب الحر المرحوم ابراهيم صالح شكر. فقد تصدى، وهو فرد لحكومات واحزاب وزعماء وسياسيين وصحف وكل من تجرأ على حرمة الوطن وقضيته، خل عنك الاستعمار، رجاله ومخططاته وسياسته ومعاهداته لذلك عاش الرجل، العمر كله، في ثورة متأججة متصلة اللهب اتت على كل من كان في الساحة يومذاك، وكان اول من احترق بشواظ هذا اللهب المستمر ابراهيم نفسه!.

كان شهابا لمع بارقه في سماء العراق ثم احترق. إلا ان هذا القلب الحديد الذي لا يرحم اذا هاجم ولا يعفو اذا خاصم، كان اضعف من ورق الورد اذا اتصل الامر بأهل بيته وذويه وبخاصة ولده (رياض). فقد كانت وراء قوته عاطفة مستكنة في الاعماق (والعاطفة ضعف في الانسان كما كان يقول)، ولعل سر قوته كامن في هذه العاطفة الاسرة.

وانك لتعجب كيف (يتصاغر) الانسان لمن يحب فيذوب فيه حتى ليكاد يتلاشى وجداً ورضى، وكيف (يتجبر) على من يخاصم فيتعالى عليه ويتصدى له ويصارعه وان تجمعت في مخالبه شراسة اهل الارض جميعا، والانسان، في الحالين، هو الانسان: لحم ودم!.

ويبدو لي، من الجانب الاخر، ان ابرز اسباب تعلق (رياض) بابيه بل فنائه فيه ان ابراهيم كان هو (البطل) في حياة رياض، وهكذا عاش الاثنان معا في ظلال ابوة حانية طاغية الحنان. وبنوة بلغت حد الفناء في (البطل) الوالد.. مالي الدنيا وشاغل الناس.

١- ولد (رياض) في ايلول ١٩٢٤، وهو الابن الكبر لأبيه، ونجد اول ذكر له جرى به قلم ابراهيم فيما كتبه في عدد "الزمان" الصادر في ٩ ايلول ١٩٢٧ لبلوغ ابنه الثالثة من عمره، كتب ابراهيم صالح شكر يقول:

في غد يبلغ ولدي "رياض" السنة الثالثة من عمره، وبعد ظهر غد يتخطى الى السنة الرابعة، فيضع قدميه الصغيرتين على بابها، والافراح ملء طفولته، والوداعة ملء افراحه و "العابه" فلا فكرة تساوره بما اعده له من مستقبل، ولا عناء يخامره بما اسعى اليه من اجله، ولا خطرت لأحلامه "ولاية العهد" في جريدة "الزمان" ولا تمنى علي ان يعقبني في هذه "الجريدة" او يشاطرني شقاء هذه "المهنة".

وكل ما يعرفه انني "احنو" عليه وانني اخدم "غايته" وانني احقق "رغباته" وانني طغني" اجود عليه في كل صباح "بآنات" يتبرع ببعضها على اصحابه من اطفال الحي، وينفق البعض الآخر على "شهواته" و "مشتهياته" وانه يعرف ان "مع السلامة" كلمة لطيفة فيشيعني بها عندما اغادره في الصباح! وعندما يجدني مرتاحا اميل الى "مباسطته" يحييني "برفع يده" ثم يصافحني ثم يقبل "لحيتي"، وهذا كل ما يعرفه وليس فيه ما انقم منه، وليس فيه ما لا ارتضيه له، فالسلام "سنة الاسلام" وهو "مسلم"، والمصافحة "شعار المؤمنين" وهو "مؤمن" والتقبيل – اذا كان في الخدود – حاجة ضرورية "لذوق الانسان" وتنمية إحساسه! واني اريد له "الذوق" الذي لا ينافي الاحساس الفياض بالعواطف، وان كانت العاطفة ضعفا في الانسان!.

اما ما اكرهه فيه فهو "إسرافه" في الانفاق على لذاته واصحابه وشهواته، وقد احرجني هذا الاسراف حتى اصبحت مضطرا لأن احمل في "كيسي الانات من اجله وما تعود "كيسي" عليها!.

ولولا انه في "الثالثة" من عمره، لتوهمت انه يتعمد "تبديد ثروتيط بعد ان وجدها وافرة كثيرة، وبعد ان وجد ارباب "رؤوس الاموال" يعدونني بينهم، ويحسبونني منهم، ولكنه "طفل" لا يعرف عن "الاشتراكية" شيئا حتى اتوهم فيه "مقاومة ثروتي"، او ان انظر اليه نظر "المستر بلدوين" المحافظ القح الى ولده الاشتراكي البحث!.

ولا يدع ابراهيم صالح شكر الفرصة تمر من غير ان يغرز مهمازه في ضلوع الاخرين.

ولو كنت استطيع اقناعه بالمنطق والحجة لاقنعته بان "ثروتي" إنما اهتم بجمعها وتوفير مقاديرها ليصبح بعد ان يبلغ اشده "رجلا عظيما" ما دامت "العظمةط في الحياة "للمال". ولكنه "طفل" لا تقنعه الحجة، ولا يقيم للمنطق وزنا، وهو معذور على ذلك، "فالشيوخ" هنا ما اقنعتهم حجة، وما جنحوا لمنطق، فكيف به اذا كان "طفلا" لايتجاوز الثالثة من سنيه إلا في ظهر غد؟ هو الان يدرك "اسباب الحياة" في هذا المجتمع الشره الطماع، ولكنه متى اصبح رجلا سوف يدرك ما هيأته له من مقومات الحياة، وسوف يقدم لي الشكر الواجب المحتم على ذلك).

وكأننا بابراهيم صالح شكر وقد اطمأن الى الغد الرغيد، وكأن الايام سالمته فانهمرت عليه الاحلام انهمار زخة مطر ربيعية.

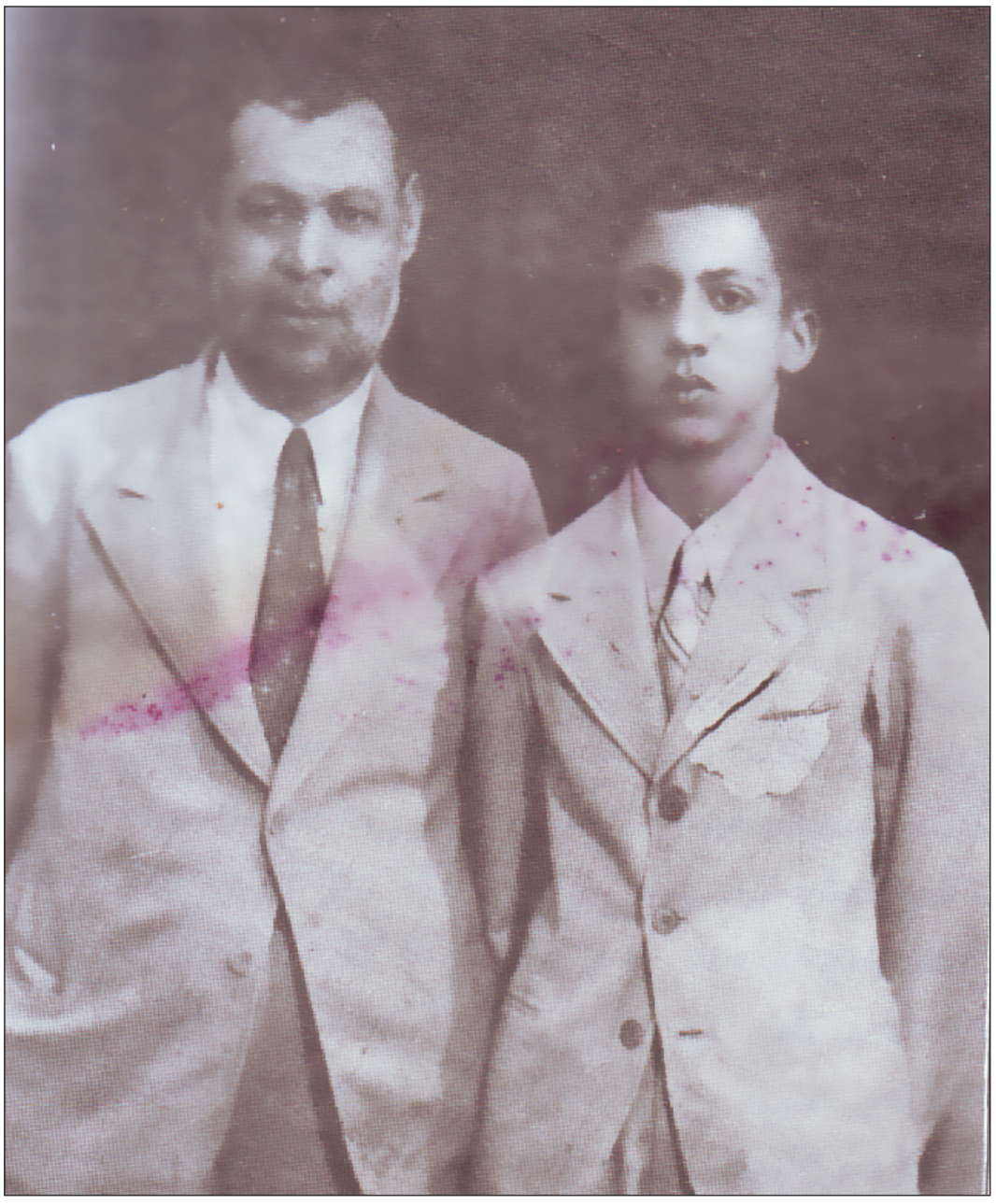
ابراهيم صالح شكر وولده

(ففي عام ٩٥ سوف يجد "بناية كبرى" مساحة ارضها "ميل مربع"، عمل في تقسيم غرفها "وصالوناتها" الفن الهندسي فابرزها ضخمة فخمة، والناس يمرون بها ويقولون هذه "إدارة جريدة الزمان"، وفي الجهة الفلانية منها "مكتب صاحبها الشيخ"، وفي تلك الجهة "رئيس التحرير"، وهناك غرفة "المحررين"، وفي ذلك الجناح "مطبعة الزمان" وفيه "مديرها"، وفي الظرف الاخر منه "الجهاز اللاسلكي" الخاص بهذه الجريدة التي اصدرها "الشيخ العصامي" في عام ١٩٢٧ بحجم صغير، فاوصلها بجهده الى هذا الحجم الكبير وهذه المادة الغزيرة، وهو الان يعد "ولده رياضا" ليخلفه في شؤون هذه الجريدة فهو "ولي عهده" فيها، وفي ذلك الوقت فقط يدرك جهود هذا "الاب الرؤوف" ويقدر ما انا عامل عليه منذ الان. وعندما يرى ذلك كله ويقدر "عظمته" ويشعر "بخطورته" يعلم انني انما "كنزت ثروتي" في المصارف" والبنوك لما كان طفلا واحتفظت بها لاتركها له لامعة رائعة. ان فراستي تدلني على ان "رياضا" سوف يكون من "دهاقين السياسة"، فهو منذ الان يعرف كيف يستهويني اليه، وكيف يحبب نفسه الي، وكيف يصطنع "الصلابة" في مواضعها، وكيف يستعمل الهوادة في محلاتها شأن السياسي الحاذق الماهر، وليس شأن "المبيضة لحاهم" من "المتزعمين".

واذا، فهو جدير بان يتسلم شؤون هذه الجريدة في عام "١٩٥٠" بعد ان يرجع من اوربة حاملا شهادة "الليسانسية" في العلوم "الدبلوماسية" من معاهد العلم الكبرى. وفي ذلك اليوم اتنحى عن هذه الجريدة وابارك "لولي عهدي" فيها، على ان يبيح لي في كل صباح "تقبيله" لانه حقق املي فيه فكان "نعم الخلف لنعم السلف". والمستقبل كشاف).

كان هذا اول حديث لابراهيم عن "رياض" وهو اطول حديث عنه ايضا، فما تحدث عنه، بعد ذلك، هذا الحديث المتراخي المتداعي المسترسل يفصح عن جملة امور اهمها:

ان "الزمان" تكتسح جرائد العشرينات...

والايام تسير رغدا...

والمستقبل يتلألأ، في افق ابراهيم بهيجا وضاءً..

والاحلام تطوف بالخاطر كأنها الحقائق التي لابد ان تكون!

ترى.. ما الذي ستحققه الايام من حلو الامنيات؟

٢- وكتب في عدد "الزمان" الصادر في ١ أيار ١٩٢٨ (١١ ذي القعدة ١٣٤٦ هـ) كلمة غاضبة في ذكرى مولده هو، استعرض فيها حياته القصيرة (كانت ولادته عام ١٨٩٢) وما كابد فيها من سجن ونفي واضطهاد، مصرحا بزهده في الحياة ان اقبلت او ادبرت سوى ان يرى (كيف يقوض الاجنبي خيمه من وادي الرافدين... وكيف يعيش العراق ناعما بالاستقلال التام)، ثم لا يذكر في موقفه هذا إلا ابنه (رياضا):

(اما ولدي "رياض" فاني اتركه الى نفسه، فاذا استطاع ان يكون شيئا مذكورا كان، واذا لم يستطع فانه يستحق مني ان لا افكر به).

واقتران "رياض" باستقلال الوطن يصرح بالهموم التي كانت تقلق ابراهيم صالح شكر في دنياه..

٣- ويذكره مرة اخرى يوم حققت "الزمان" انتشارها المتألف وعادت عليه بالربح الوفير فملك يومئذ "التامينات القانونية" المطلوبة لاصدار الجريدة بعد ان كان قد دفعها، يوم صدورها، احد اصحابه الوزراء (فكانت اجرة طبعها بالدين، وكان ثمن ورقها بالدين الذي لا فائض له). فكتب في عدد "الزمان" الصادر في ٢٧ اذار ١٩٢٨ يغيظ اعداده الذين كثيرا ما اغاظوه وافقروه، فأعلن انه اصبح في مقدوره ان يدفع "التأمينات" وقدرها "الفا ربية" هي ملك له لايشاركه فيها احد سوى ولده "رياض".

(وتحرير الخبر ان "المشتركين" الكرام دفعوا "بدل الاشتراك" فلم ابدده ولم اضعه في غير مواضعه، وانما جمعت متفرقاته فكان منها هذه "التأمينات" التي تصدر بها "الزمان"، واذا مت فلي ما يكفي "الكفن" واسباب "الجنازة" ولولدي "رياض" منها ميراث لا سحت فيه ولا حرام).

٤- وحين هاجر ابراهيم صالح شكر مغاضبا في عام ١٩٢٨ موليا وجهه شطر سوريا ولبنان وشرقي الاردن وفلسطين ومصر، كان يحمل معه "مفكرة" صغيرة لا يتجاوز حجمها حجم الكف دون فيها – فيما دون – هذه الكلمات، وكأنه يلتمس اوهى الاسباب ليذكر، على البعد، ولده "رياضا":

(الاثنين ٢٢ تشرين الاول...

اليوم كنت مدعوا من ياسين، ومحمد عبد، وكيل المعتمد النجدي في دمشق على طعام الغداء، وكان معنا نجيب الريس، وفخري البارودي، وعبد اللطيف العلي، ومحمد النحاس، والغريب ان ولد العلي اسمه رياض، وولد نجيب اسمه كذلك، وولدي رياض ايضا.).

٥- ومن دمشق والقاهرة كان كثير الكتابة الى اصحابه في بغداد، يصف لهم ما يرى ويسألهم عما ابتعد عنه، ثم يسلم على جميع الاصدقاء واهل قهوة شكر ويقبل "رياضا".

٦- وبعد ان ضيق عليه الانكليز واجبروه على مغادرة مصر عاد الى دمشق ليصدر فيها جريدة باسم "الفرات" فمنعه الفرنسيون من اصدارها كما كان يخطط فكتب في ٣١ كانون الاول ١٩٢٨ رسالة الى احد اصحابه تتأجج كلماتها ثورة ووعيدا، ولكنها تتلألأ باسم ولده "رياض". ويقف الباحث متأملا طبيعة العلاقة بين حب ابراهيم صالح شكر لوطنه وارتباطه بحبه لولده "رياض":

(وحقك سوف افضح المستور، واهتك المحجوب، بالحق وبالباطل، ولكني الى الحق اميل ما دام بحاله واسعا في العراق المهان بحكومته الذليلة، الذليل باستقلاله الكاذب، واذا ابى القدر الماجن إلا معاندتي فاني اعرف كيف ارجع الى العراق لاعطي الدرس القاسي في الموت الشريف، فلست اريد ان اموت بعيدا

عن اهلي وولدي الذي افيض حبا له وحنواً عليه، ولكني من اجل هذا الحب والحنو يجب ان اكون هكذا.).

– وبعد عودة ابراهيم الى بغداد كتب في جريدة "المستقبل في ٢٩ كانون الاول ١٩٢٩ تحت عنوان "من رحلة محرر" المستقبل "في احياء العرب" يصف ليلة خروجه مهاجرا من بغداد. (وكانت ليلة الاثنين ليلة ملسوع، مهاده حسك الارض، ومضجعه فناد الغبراء، حتى اذا صاح الديك، وانبثق فجر الليل الكئيبة، قمت اودع الاهل والاسى يثير الاشجان، ويصارع الزفرات. وقد ابت عاطفة الإبوة الملتهبة الا ان تختلس نظرة من "رياض" وهو في سريره يداعب الافلاك، ويلاعب الكواكب، ويماجن القمر الوضاء في نومه الناعم المطمئن.

ولما اشرقت شمس اليوم الرابع من تشرين الاول عام ١٩٢٨ كانت السيارة تطوي فجاج الارض الواسعة، وكانت بغداد خيالا ضئيلا يلوح بين باسقات النخل، ورؤوس المآذن الشامخة،فادرت اليها طرف راحل ترك فيها اهله وولده وذويهن ولهفيها ذكريات ذا لم تكن بين ملاعب "رياض" ومسارح طفولته، فهي بين قبور الاباء واحداث الجدود).

٨– ويوم استأنف كتابة سلسلة مقالاته عن "حتروش" في مجلة "الوميض" في شباط ١٩٣٠ بعد ان كان قد بدأها في "الزمان" ثم في "المستقبل"، كتب يقول:

(فان رأيتني اعود اليوم الى حديث "حتروش" فما هي ارادتي، وما انا متطلبها، وانما هي ارادة "الوميض" و"الوميض" صحيفة الشباب المتطلع الى الحياة بعزيمة صادقة، ومضاء قوي.

وللشباب علي دالة هي دالة "رياض" و"رياض" ثمالة الامل، وصبابة الرجاء، ثم انه قطعة من الشهد الحلوة اللذيذة التي وضها القدر في كأس الحياة المريرة، ثم انه "رياض").

ورياض.. قطعة الشهد وثمالة الامل وصبابة الرجاء كان يومئذ في السادسة من عمره.

٩– وفي استقالته المشهورة من وظيفة "مدير تحرير لواء بغداد" التي رمى بها وجه "صاحب السعادة المحترم متصرف لواء بغداد" في ٢٣ كانون الثاني ١٩٣١ صرح بانصرافه عن الوظيفة وزهده فيها لولا اضطراره اليها اضطرارا:

(ولما عطلت صحفي الواحدة بعد الاخرى، ولما سدوا في وجهي سبل الارتزاق النبيل، ولما لم يبق في يدي من اوراق الحياة إلا ورقة واحدة هي "ورقة التوظيف"، مسكتها لامسح بها جبين الطفل المعصوم، ودمعة الصبية البريئة، والزوجة المخلصة الصبور).

١٠– وتتوالى الايام على ابراهيم صالح شكر.. بين مد شحيح وجزر مدمر طاغ، فاذا به خارج الوظيفة، واذا به مستخدم في وظيفة متواضعة، واذا بالامراض تنقض عليه، واذا به طريح فراش يخفي تحت وسادته "وصفة" طبية تبحث عن ثمن الدواء.. ولاتجد!.

وفي ٦ نيسان ١٩٤٤ ومن على فراش المرض يملي ابراهيم على ولده "رياض" اخر رسائله مخاطبا بها احد اصحابه خارج العراق:

(وبعد، فان الالام ينبوع عذب، ولكن "ذات الرئة" مرض وبيل، وهو يلازمني منذ سبعة عشر يوما، وقد وصل كتابك الاخير والشمعة تذوب، والذبالة ترتجف، وما ادري اهذه الكلمات هي آخر ما امليها على ولدي رياض ام اني قادر على ان استقبل مشرق الشمس ومشهد الغروب في مستقبلي المكتظ بالمحن والاكدار..). وحين نسامع اصحابه بما انتهى اليه، ادخله صديقه "محمود صبحي الدفتري" في ٤ مايس ١٩٤٤ المستشفى على نفقته الخاصة، و"رياض" معه لا يفارقه ولا يغفل عن رعايته.

ومع غروب شمس الخامس عشر من مايس ١٩٤٤ وفي مستشفى "العلمين" في "ارخيته" يحس ابراهيم صالح شكر ان شمسه هي الاخرى ان لها ان تسقط في الظلمة التي لا قرار لها.. لقد آن اوان الأوبة، فما بقي، بعد، زيت في السراج!.

ويلتفت ابراهيم الى رياض، فيلبي رياض نظرات ابيه، ثم يفهم منه انه يشير اليه ان: اذهب الى البيت، فسارع رياض الى حيث اشار والده لعل في تلبية ما طلب راحة للجسد المتعب المهدود، وما درى انه الفراق الذي لا وداع معه، وانها الابوة في احلك لحظاتها تؤدي فريضة الحنان كي لا يشهد رياض موت ابيه امامه..!.

وتبحر النفس الابية المعذبة الى حيث يبحر الناس جميعا ولا يعودون..

يقول اهل بيت ابراهيم فيما حدثني به اخي "مليح ابراهيم صالح شكر".

لقد اصاب موت ابراهيم من ابنه رياض مقتلا، فاذهله اول الأمر، ثم اسقطه يوم آمن بالواقعة ، ثم اضناه حين كف عن طعام وشراب، ولكنه كان لا يكف عن النحيب، وكثيرا ما استيقظ الاهل المفجوعون بالوالد وبالولد معا في تلك الليالي المشهودة فلا يجدون "رياضا" في فراشه ولا في البيت.. واذا بباب الدار مفتوح وطريق المقبرة يردد بقايا نشيج مكتوم، ومقبرة الغزالي غارقة في الظلمة الموحشة، ورياض يحتضن قبر أبيه ويبكي.. يتمزق حسرات على الذي رحل بلا وداع!.

وكان فراق بين رياض وحياة الناس بعد رحيل ابيه.. فما رقأ له دمع، ولا كف عن توجع مكبوت، سلوته.. ذكرى تغشاه ليل نار، وزيارات يأنس فيها بالحبيب القريب البعيد، وامل قريب – لا ابعد منه – في ان يسمع الراقد تحت التراب نداءه يوما فيجيب.. حتى كانت ليلة العيد..

ولعله، كان العيد الاول بعد وفاة ابيه، فكتب رياض، بعد زيارة للقبر، هذه السطور بالحبر الاخضر بخطه موقعة بتوقيعه من غير ان يفصح عنها تاريخ او اشارة، ويومها تأكد له ان لا سبيل بعد الى ابيه.. لقد فقده الى الابد:

(اليك.. اليك يا أبي في مثواك العزيز في ليلة العيد، لعلني اراك، ولعلني امسع ذلك الصوت الحنين ابي.. دخلت السور الذي يحيط بمثواك والليل شديد الظلام، فصاح "بواب المقبرة" : من هذا؟ فقلت له: اجعلني اليه الى حيث يرقد الوالد الحبيب، وقفت بجوارك يا ابي بكل خشوع ورهبة لعلني اسمع ذلك الصوت الجميل ولكن.. هيهات. ناديت: يا ابي لقد جئتك الليلة.. ليلة العيد، فاختفت كلماتي وسط النحيب عند قبرك اردد البكاء والنحيب لعلك تسمع توسلات ابنك الحزين ولكن هيهات.

ابتعدت يا ابي عنك ولي العذر في ذلك وسط الرعب الذي ملأ قلبي وتوسلات "البواب"، وتأكدت في هذه اللحظة باني قد فقدتك يا ابي الى الابد، وفقدت كل شيء بفقدك حتى قبلائك في يوم العيد يا والدي الحبيب).

لقد آمن رياض يومذاك انه فقد اباه حقا، وفقد به كل شيء حتى قبلاته الحنونة في يوم عيد.. ليت شعري.. هل علم ابراهيم صالح شكر اي ميراث تركه لرياض – امله الحلو الاخضر – يوم تركه وحيدا ضعيفا كالنبتة الصغيرة في صحراء ضاربة؟

وتتوالى الايام على "رياض" ثقيلة بالهم والجوع الوداء فينوء باه فتى العشرين خريفا.. الذكرى لا تفارقه، والحزن يذيب القلب حسرات، والداء الوبيل ينهش ولا يشرب غير دماء الصدور..

ويسقط صريع السل! فيرسله اهله الى لبنان لعله يجد هناك شيئا يعيد اليه شبابه او عافيته، ولكن.. لا أمل يعشو على اثر من ضياء.. فلم يبق في السراج زيت يضيء.

ويوم عجز حنان الابوة عن ان يجمع الابن الى ابيه كان المرض اقوى وارحم.. لقد جمع بينهما السل على عجل في مصير واحد.

ففي يوم من ايام عام ١٩٤٦ ابحر رياض.. بقية ذبالة اطفأتها ريح العذاب والغربة..

ابحر رياض الى حيث يبحر الناس جميعا لعله يسعد هناك بلقاء الحبيب الذي رحل بلا وداع!.

مجلة افاق عربية 1977

الصحف الصادرة في كركوك

نصرت مردان

اعتاد الباحثون في تاريخ الصحافة العراقية، أن يمروا علي بدايات تاريخ صحافتنا في العهد العثماني مرور الكرام، لأسباب شتى، لعل من أهمها منها عدم توفر المصادر الكافية التي تبحث عن توثيق الصحافة العراقية في هذه الفترة المهمة من تاريخ بلادنا . هذه إطلالة مخلصة لتوثيق ما لم يوثق عن تلك الفترة .

حوادث

أول صحيفة عثمانية صدرت بكركوك في ١٩١١ . صاحبها محمد زكي قدسي زاده . أشرف على تحرير القسم الثقافي أحمد مدني قدسي زاده . وقد ظل محمد زكي مديرها المسؤول حتى العدد ٤٣ حيث اضطر بعده الى الانفصال بعد صدور قرار عدم جواز عمل الموظفين في السياسة . حيث حل محله م . حسني .

صدر عددها الأول في ١١ شباط ١٩١١ وليس كما ذكر صبر شاكر الضابط خطأ في كتابيه (كركوكده اجتماعي حيات . الحياة الاجتماعية في كركوك) و (موجز تاريخ الصحافة في كركوك) من انها صدرت في ٢٨ نيسان ١٩١١ . حيث يرد في الافتتاحية الخاصة بدخولها عامها الثاني ما يلي :

((بعد هذا العدد تدخل صحيفتنا عامها الثاني . حيث انها صدرت في ١١ شباط ١٩١١ بعد الحصول على الموافقات الرسمية . وقد تأخر صدور أعدادها بسبب الدعوى التي أقيمت في محكمة بغداد بسبب بعض المقالات المنشورة ..)) وترد في هذه الافتتاحية أيضا ، أن الصحيفة سوف تصدر مصورة اعتبارا من شهر آذار / مارس من نفس العام . حيث أنها ستنشر مناظر طبيعية عن مدينة كركوك وصورا للمسؤولين في الدولة .

الا أن (حوادث) رغم ذلك لم تنشر أية صورة حتى منتصف آذار . لكنها واعتبار من العدد ٨٩ الصادر في شباط نشرت صورا لشخصيات ثقافية تركمانية : أحمد مدني قدسي زاده وأعقبتها في الأعداد التالية بصور لحامد نديم و محمد زكي قدسي زاده وعطا الله أفندي صاحب جريدة (صدى الإسلام).

لم تصدر الصحيفة بانتظام حيث صدر بعض أعدادها أيام الجمعة والبعض الآخر في أيام السبت أو الأحد .

صدرت (حوادث) في السنة الأولى بحجم متوسط وفي السنوات الثانية والثالثة والخامسة بحجم صغير. كان سعر النسخة الواحدة ١٠ پارات والاشتراك السنوي بمجيدي واحد والنصف السنوي نصف مجيدي .

صدرت (حوادث) بأربع صفحات .اهتمت بالشؤون السياسية والاجتماعية والقانونية والأدبية لذلك تعتبر بمثابة موسوعة تاريخية هامة عن كركوك وضواحيها في العقد الأول من القرن العشرين . كما ساهمت في تطور الأدب التركماني في كركوك من خلال حرصها على نشر قصيدتين في كل عدد ، حيث نشر فيها أدباء وشعراء تلك المرحلة نصوصهم ومنهم : الشاعر هجري ده ده ، زين العابدين كركوكلي ، علي كمال كهيه اوغلو ، نسيمي خلوصي زاده وغيرهم . كما اهتمت الصحيفة بالتعريف بالكتب الصادرة آنذاك في بغداد وكركوك .

طبع عددها الأول طباعة بدائية ثم بدأت تطبع بمطبعة مدرسة الصنايع حيث تمكن الأخوان قدسي زاده من شراء مطبعة خاصة بالجريدة أطلقوا عليها على اسم الصحيفة (حوادث).

لم يشر الاستاذ عبدالرزاق الحسني في (تاريخ الصحافة العراقية) الى جريدة (حوادث) الا في الطبعة الثالثة للكتاب . إلا انه أخطأ بالإشارة إلى صدورها في ٢٨ نيسان ١٩١١ كما فعلت الشيء نفسه السيدة زاهدة إبراهيم في كتابها (كشاف الجرائد والمجلات العراقية).

استمرت حوادث بالصدور لمدة سبع سنوات . ويمتلك الاستاذ محمد خورشيد الداقوقي في مكتبته الشخصية بكركوك العدد ١٣٨ الذي يشير الى السنة الخامسة للجريدة ، والتي أغلقت من قبل قوات الاحتلال البريطاني عند دخولها كركوك في ٢٥ تشرين الأول ١٩١٨ .

آزانس

بدأت بالصدور باللغة التركية عام ١٩١١ وتوقفت ١٩١٨ بعد احتلال القوات البريطانية لكركوك . وكانت صحيفة أخبارية سياسية يومية .

معارف

أول مجلة ثقافية أدبية صدرت بكركوك في العهد العثماني عام ١٩١٣ . وكانت مجلة نصف شهرية تتألف من ثماني صفحات مؤسسها أحمد مدني قدسي زاده وصاحبها سيد محمد جواد . وبصدورها سدت فراغا ثقافيا هاما في كركوك. صدر عددها الأول في ١١ نيسان ١٣٢٩ وعددها الأخير في ٧ تشرين الثاني من نفس العام ، حيث توقفت عن الصدور بعد سبعة أعداد . وأشار الاستاذ عبدالرزاق الحسني في (تاريخ الصحافة العراقية) بأن (معارف) صدرت بالتركية وأنها لعبت المجلة دروا هاما في محاربة الجمود والتخلف ودعت الى ضرورة مواكبة العصر . وقد أخطأت السيدة زاهدة إبراهيم في الإشارة أن المجلة كانت تصدر ثلاث مرات شهريا . وقد كرر فائق بطي ما ذكره عبدالرزاق الحسني في انها استمرت بالصدور لمدة ٣ أشهر .

كان سعر المجلة ١٥ پارة أما قيمة الاشتراك السنوي فكانت ١٠ قروش (تدفع نقدا) . كتب فيها خيرة الكتاب والشعراء في تلك الفترة : أحمد كمال ، زين العابدين أفندي ، فتحي صفوت ، نزهت كروي زادة وسيد محمود عرفي وغيرهم .

كوكب معارف

المجلة الثقافية الثانية التي صدرت في كركوك بعد (معارف) أصدرتها (جمعية الدفاع الوطني) في ٣ شباط ١٩١٥ . تولى الإشراف عليها سيد عرفي ورائاسة التحرير مصطفى يعقوبي زادة . وقد أخطا الاستاذ حسين ساقي في مقاله المنشور بجريدة (يورد) التركمانية حينما اعتبر عرفي ، هو الشاعر المعروف سيد محمود عرفي .بينما يذكر الاستاذ عطا ترزي باشي في كتابه (كركوك شاعرلرى. شعراء كركوك) ، أن الشاعر عرفي توفي في ١٨٨٩ أي قبل ٢٦ عاما من صدور المجلة. أما رئيس التحرير سيد عرفي فقد كان رئيسا للجمعية الوطنية عام ١٩١٥ . يذكر الاستاذ عبدالرزاق الحسني أن مجلة (كوكب معارف) توقفت عن الصدور بعد العدد الرابع ، بينما يحتفظ الاستاذ محمد خورشيد الداقوقي في مكتبته بكركوك بالعدد الثامن من المجلة .

كان سعر النسخة قرشا واحدا ،إلا أن هيئة التحرير ارتأت أن تضع هذه الملاحظة فيما بعد (سعر النسخة حسب ما يرتأيه أصحاب الحمية) . عملت المجلة على محاربة الجهل وإشاعة الالتزام بالمبادىء الأخلاقية والوطنية واستثمار خيرات الوطن لرفعة الشعب وأعمار البلاد . ساهم في المجلة نخبة من أدباء ومثقفي تلك الحقبة : أحمد مدني قدسي وفتحي صفوت قيردار وهجري ده ده ومصطفى سالم و أحمد مدني وغيرهم .

مجلة "دار السلام" من صحافة عهد الاحتلال البريطاني

د. عباس ياسر الزيدي
باحث في تاريخ الصحافة

واصدرت السلطات البريطانية المحتلة عام 1918جريدة باسم "دار السلام" في بغداد باربع صفحات بالحجم المتوسط. وكل صفحة تحتوي على ثلاثة انهر طويلة، وقد جاء في رأسها انها "صحيفة اسبوعية ادبية تاريخية اجتماعية سياسية خادمة العرب ولسانهم" . وكان بدل الاشتراك السنوي لجريدة دار السلام لخمسين عدد (4) روبات، وثمن النسخة الواحدة آنة. واهتمت جريدة دار السلام بالقضايا الادبية خاصة، واغدقت السلطة المحتلة على الكتاب والشعراء الذين يساهمون فيها بمبالغ طائلة وقد نشرت خطتها في افتتاحية عددها الاول.

"باسمك يافتاح" تقول: ".. قد رأينا بعد استشارة اولى الامر، ان تفرغ ما تقدم في قالب جريدة اسبوعية، يعول عليها العلماء، ويفزع اليها الادباء، فيجدون فيها احماضا لنفوسهم واجماما لخواطرهم، وسلوة لارواحهم، التي اجهدتها الحوادث، وكدتها الوقائع فملت الاخبار اليومية.

وسئمت الاقاويل السياسية. على انا لانضمن برأي صائب يعرض لنا او لغيرنا في ذلك وغيره، مما هو من قبيل المقصد الذي انشئت الصحيفة من اجله، ونشرت من قبله، وقد سمينا جريدتنا "دار السلام" لما في هذا الاسم من شرف المعنى وجلالته، علاوة على رقة اللفظ وجزالته، وان حقا على ادباء حاضرتنا دار السلام وقبة الاسلام وغيرهم من ادباء العراق ان يؤازوها جهدهم، ويمدوها طاقاتهم فالمرء بمؤازرة كثير".

واظهرت جريدة دار السلام للراي العام العراقي، مساوئ الحكم التركي وما خلفه من تأخير وانحطاط، في كافة الحياة، ولاسيما الثقافة منها فبعنوان، "اللغة العربية في العراق ولاسيما في بغداد" تقول: "كانت اللغة العربية، ولاسيما في بغداد منحطة غاية الانحطاط في عهد الاتراك، لانهم كانوا يحتقرونها ويحتقرون الناطقين بها، حتى انهم كانوا اذا ارادوا ان يحتقروا واحدا ويذموه او يشتموه قالوا له "عرب" وهذا ما دفع من الناطقين بالضاد الى التبرؤ من قوميتهم ولسانهم ووطنهم، واخذوا ينتسبون الى الترك متوهمين انهم اشرف العناصر ناسين ان عنصرهم هو من اشرف العناصر وان منهم قام اعظم الملوك والخلفاء والفلاسفة والعلماء.

بقيت العربية في الانحطاط حتى خيف عليها من الزوال والاضمحلال من هذه الديار الواغلة في العربية قدما وحضارة.

وبينما كانت النفوس تتمنى انقراض تلك الامة من هذه الخطة العراقية اذا بالعناية الالهية يسرت تحقيق امنية العراقيين، فشالت غمامة اولئك الاقوام منها ، واخذ ابناء هذه الديار يتنفسون الصعداء لزوال ذلك الكابوس من صدورهم.." .

واهتمت جريدة دار السلام بالكتابة عن جذور الحركة الفكرية في العراق وتطورها وبنيت الاسس الكفيلة بتقدم تلك الحركة وازدهارها. فبعنوان "الحركة الفكرية وتاريخها في العراق" تقول: "اذا شئت ان نحكم على مستقبل امة ومصيرها، فابدأ اولا بفحص احوالها الادبية وتطوراتها الاجتماعية.. فان وجدتها خاضعة لناموس التجدد والارتقاء، تابعة لسنة التحول التي تتناول كل شيء في الطبيعة والعمران فاكتب على ناصيتها عنوان الفوز، وسجل لها ما شئت من انواع التقدم في الحياة.

نعم اذا شئت ان نعرف ارتقاء كل امة وانحطاطها، وان تحقق تقدمها او تأخرها، فأقرا افنارها وطالع آرائها، وابحث رغائبها وميولها، فان كانت راغبة في مطالعة الكتب المفيدة، وقراءة الافكار الجديدة. ناشطة للعلم بما يجري في الوجود من تقدم الامم بترقي المعارف واتساع نطاق التربية فتفأل لها بسعد الطالع وحسن الاحدوثة، وان كانت سريعة التهافت على اقتناء التافه، ونبذ المفيد والنافع، بعيدة عن التجرد والاستفادة من حوادث الكون وظاهرة الحياة، فقل في سقوطها وحدوث عن هوبطها.." .

وبعد ان صدر من جريدة دار السلام اربعة عشر عددا صارت تصدر بشكل مجلة باسم مجلة "دار السلام" صدر عددها الاول في مدينة بغداد في ٦ تشرين الاول (اكتوبر) سنة ١٩١٨م، وكان عدد صفحاتها ثلاثين صفحة بالحجم المتوسط، وكل صفحة منها تحتوي على نهرين طويلين، وقد جاء في رأسها انها "وضيعة تصدر مرة في الاسبوعين، وتبحث في الادب، والعلم، والاجتماع، والتاريخ، وتعني بشؤون العراق الخاصة".

وعهد الى الاب استاس ماري الكرملي أمر دارتها، فكتب فيها بحوثا ادبية قيمة، ولاسيما في موضوع الالفاظ المقارنة، كما عهد الى لفيف من الكتاب الباحثين امر تحريرها لقاء اجور مغرية كانت تقدمها اليهم وكانت مجلة "دار السلام" توزع في بغداد باعداد كبيرة، وكانت وجهتها سياسية وان كان ظاهرها الادب، ولم يعالج فيها مسائل اللغة الا قليلا وذلك لعدم وجود الحروف اللاتينية الطباعية. وتمكنت مجلة دار السلام اجتذاب عدد من الشعراء والكتاب الذين ينسجمون في كثير من نتاجاتهم مع رغبة الاحتلال.

وكانت المجلة المذكورة اكثر الصحف تأثرا بالمفاهيم والاتجاهات الصحفية الحديثة اذ انها قد خصصت الاخبار بجزء كبير من صفحاتها، وكانت مواد المجلة متنوعة. فلم تقصر نفسها على المقالات السياسية، بل كانت تنشر مقالات اجتماعية وعلمية ومواد فكاهية وكانت تحرص كذلك على نشر الصور الفوتوغرافية ولهذا كان مظهرها اكثر حيوية واشراقا من مظهر اي صحيفة اخرى من صحف ذلك الوقت وعالجت مجلة دار السلام الشؤون المالية والقضايا الاقتصادية وكتبت عن مشكلة ارتفاع المواد الغذائية فبعنوان "بحث في اسباب ارتفاع الاسعار في العراق والاقطار الاخرى" تقول: من شان الاسواق المالية والمضاربات التجارية، كثرة التقلب، وعدم الثبوت على حال من الاحوال ولا تعرف طبيعة هذه التقلبات سوى اصحاب المصارف والبيوت المالية حيث ان اشغالهم تقضي عليهم بمعرفتها. واما غيرهم من الناس فلا يعرفون كنه هذه التقلبات حيث ليس لهم فيها ناقه ولا جمل. على ان في عالم الاقتصاد مبادئ اساسية عامة توثر على الاسواق المالية، وتتوقف عليها الاسعار كناموس الاخذ والعطاء. فان كان الاخذ دون العطاء مثلا هبطت الاسعار، وان كان العطاء دون الاخذ ارتفعت واذا زادت واردات قطرها على صادراته صعدت فيه الاسعار والعكس بالعكس فاذا كان التوازن التجاري في جانبيه ورجحت كفة التجارة فيه، اخذت الاسعار في الهبوط وهلم جرا من الاسباب الاخرى.." واهتمت مجلة دار السلام بالمدن العراقية القديمة وبآثار العراق خاصة، فكتبت البحوث العديدة عنها واشارت الى اهميتها. فبعنوان: "اور" تقول: "اور مدينة قديمة واغلة في القدم اول ما جاء ذكرها في سفر الخلق اذ يقول: "ومات هاران قبل ابيه تارح في مسقط راسه في اور الكلدان". ومعنى اور في الاشورية "المدينة" فسميت "اور الكلدان" تمييزا لها من سائر المدن الواقعة في ديار اخرى، ومن اور طعن تارح مع ابنه ابرام (ابراهيم) قاصدا ارض كنعان، فاذا كانت اور مدينة عامرة في عهد ابراهيم مضى على هذا النبي اكثر من ٣٩٢٣ سنة فيكون قد انشئت في العهد الاول من حضارة البشر اي قبل اربعة الاف سنة واكثر.

وقد جاء ذكر مولد ابراهيم ثانية في السفر الثاني من كتاب عزرا اذ يقول انه خرج من "اوكشديم" طاعنا الى الديار التي اعدت لان تكون مقام اولاده.."

وكتبت مجلة دار السلام بحوثا عديدة عن الحضارات العراقية القديمة مشيدة بتلك الحضارات في مساهمتها بمد الحضارة الانسانية بمعينها.. فبعنوان "العلم ودوره عند الكلدان" تقول: "الكلدان من الامم القديمة في العراق وكان لهم سهم صائب في العلوم والفنون والصنائع ولابد من اثبات هذه الحقيقة بالادلة التاريخية فنقول:

ومن الامور التي يجب ان يفتخر بها ابناء العراق، ان اول مدرسة انشئت في العالم كانت في العراق. وقد شهد بذلك التاريخ، فقد عثر الاب فنسان شيل الدومنيكي من علماء الاثار المسمارية على اثر جليل وجده في (ابو حبه) الحالية التي كانت تعرف في سابق العهد بسيارة .. وهذا الاثر عبارة عن بناء واسع الاطراف فيه عدة غرف مرتبة على احسن نظام وكان فيها الواح، وكتب ابتدائية وصرفية، ونحوية وشعرية، وهناك دلائل كثيرة تؤيد ان البناء كان مدرسة لا غر. وهي اقدم مدرسة ذكرتها التواريخ لانها كانت في عهد سرجون سنة ٣٧٠٠ قبل الميلاد. فذهل العلامة شيل عند رؤيته تلك الاثار.." .

وبعد صدور ثلاثة وعشرين عددا احتجت مجلة دار السلام بعدما سلخت من العمر ثلاث سنوات.

مجلة المورد / عدد خاص 1982

١٩ من المجلد الاول — الاحد — السنة الاولى

دار السلام

وضيعة

تصدر في بغداد مرة في الاسبوعين

وتبحث في الادب والعلم والاجتماع والتاريخ

وتعنى بشؤون العراق خاصة

في ١ كانون الاول سنة ١٩١٨ — الموافق ٢٦ صفر سنة ١٣٣٧

بحث في اسباب ارتفاع الاسعار في العراق والاقطار الاخرى

من شأن الاسواق المالية والمضاربات التجارية كثرة التقلب وعدم الثبوت على حال من الاحوال. ولا يعرف طبيعة هذه التقلبات سوى اصحاب المصارف والبيوت المالية، حيث ان اشغالهم تقضي عليهم بمعرفتها. واما غيرهم من الناس فلا يعرفون كنه هذه التقلبات حيث ليس لهم فيها ناقة ولا جمل. على ان في عالم الاقتصاد مبادئ اساسية عامة توثر على الاسواق المالية وتتوقف عليها حركة الاسعار كناموس الاخذ والعطاء. فان كان الاخذ دون العطاء مثلاً هبطت الاسعار، وان كان العطاء دون الاخذ ارتفعت. واذا زادت واردات قطر ما على صادراته، صعدت فيه الاسعار، والعكس بالعكس فاذا كان التوازن التجاري في جانبه ورجحت كفة التجارة فيه، اخذت الاسعار في الهبوط وهلم جراً من الاسباب الاخرى التي

العرب

السنة الاولى — الموافق ٣ صفر ١٣٣٦

جريدة يومية سياسية اخبارية تاريخية ادبية عمرانية عربية المبدأ والغرض ينشئها في بغداد عرب لعرب

بدل الاشتراك ويدفع سلفاً
من ١٥٠ عدداً : ٨ ريالات في بغداد
ومن ٧٥ « : ٤ ريالات «
ويضاف اليها اجرة البريد في الخارج
وثمن العدد الواحد آنة واحدة لاغير

(اجرة الاعلانات والمكاتبات الخصوصية)
من السطر الواحد في الصفحة الاخيرة نصف ريال واذا تكرر الاعلان يراجع به الثمن بشؤون الجريدة . واما درج المكاتبات الخصوصية فيراجع في اجرتها مدير الجريدة.
(المراسلات): تكون باسم جريدة (العرب) وعائدة الاجرة . وتشر منها ما يوافق خطة الجريدة ويفيد منها ما لا يلائمها . ولا يعاد منها شيء الى اصحابها ادرج او لم يدرج

برقيات رويتر في ١٩ تشرين الثاني ١٩١٧

جاء في البلاغ الايطالي الرسمي : عدونا اليوم العدو على مواقفنا الامامية في وادي (لدرو) ووقعت معارضات بين (مال سوكانا) ووادي (بياقو) . واحتد العدو في [لودزاكو] باحدى مؤخرات جيشنا فتمكنت من اختراق صفوفه واستولت على قرية من [سوزكانا] الى البحر ثم تخلصت من العدو وعبرت النهر ونسفت الجسور وراءها.

ايرق مراسل رويتر الراقي لجيش الايطالي قال : مازالت الحالة في تحسن دائم وجريء الانسحاب الآن بانتظام تام وفرق الجنود تصلح . والمؤخرة تقوم بمسالة حماية الجيوش . وقد اتخذت التدابير الشديدة فوقوف على المنذرين . فوجدوا بينهم عشر خائنة تالية يتكون الايطالية واتفان ادعوا انهم مشتغلون وكانوا يوزعون مبالغ طائلة من الدراهم على الضباط والجنود ويسعون في التحريك على الثورة خلياً تصلح . وعقول الرسائل : يجري العمل بنشاط في كل مكان . وتظهر عصبية الشفقة من الجند والثبات ما يكون مثالاً نفيراً للشرف البلاوه . وقد عزم القائمقام الانجليزي على ان يقوما في وظائفهم ويحرى التحسين مثل العادة .

في جبهة روسية

پتروغراد : اصدرت وكالة البرقيات بياناً قالت فيه انه جرى اجتماع خاص في مجلس مندوبي العمال والجنود اعلن به الرئيس (تروتسكي) انه لم يعد هناك حكومة موقتة . قبض على بعض الوزراء وحل المجلس النيابي المؤقت .

وخلف (لينين) في المجلس وقد تقدم الاعضاء يتناقشون ويتداولون فقال : يعترض روسية الآن ثلاث مشاكل يجب ازالتها في الحال. فالاولى : ابرام الهدنة والثانية تسليم الاراضي الى الفلاحين . والثالثة توزيع الازمة الاقتصادية . قرر المجلس تشكيل لجنة للتفاوض في الهدنة مع الحلفاء وقرر هذه تنظيم الاجتماع بين النواب النيابيين في مجلس مندوبي العمال والجنود بفتروغراد لعقد مؤاخاتهم على قلب الحكومة وانهم يتسعون من مجلس (پتروغراد) .

الف مجلس مجلس العمال والجنود نياباً يمثلون مجموع عوائل الاعضاء في اربعة عشر مركزاً نيابياً وسبعة اشتراكيين وثوار.

في الجبهة الغربية

البلاغ الالماني هيئت : هجمنا على مواقع العدو في جبل وتبال شرق [بلشتيفيل] فتقدمنا تقدماً يذكر .

واصدرت القيادة الفرنسوية بلاغاً قالت فيه : اصابت طيارات العدو قنابل على [دنكرك] فقتلت ثلاثة وجرحت عشرة . والقت ايضاً الطيارات قنابل محرقة على المستشفى في (زدكوت) فقتلت سبعة من الموظفين وجرحت تسعة منهم . وجرت مبارزة بالمدافع في منطقة قناة (وازآبر) . ووقعت معارك اشتركت فيها المشاة في منطقة نابلة ه شدوه . ونظمت الجنود الفرنسوية مراكزها بعد عدة كرات كرها العدو بدون جدوى .

اخبار متفرقة

باريس : رحج (بنلفه) من ايطالية . واخذ رئاسة الوزارة. وقد قرر ان مؤتمر الحلفاء العسكري يجتمع في باريس.

استردام : انباء برقية رسمية من (برلن) ان القيصر قبل استعفاء « هلفرنك » من وظيفة نائب المستشار .

في ١٥ تشرين الثاني ١٩١٧

في الجبهة الايطالية

جاء في بلاغ شبيه بالرسمي : انه يظهر ان الطليان لا يستطيعون ان يقيموا لهم خطاً للدفاع على نهر (پياڤه) بعد ان [وحر جناح الخط في شمال النهر . على ان هناك من الاسباب ما يبعث على الامل ان العدو لا يتسع في خطته التي وضعها لفصل القوات الطليانية التي تقاتل في اعالي (پياڤه) من معظم الجيش الذي يضحب على طول البحر.

ايرق مراسل رويتر الراقي لجيش الايطالي قال : تحفظ قوات العدو يوماً فيوماً ومقاومة الطليان تنظم وتقوى وقد احبط الطليان خطط العدو التي كان يتوى بها احباط الجيش الطلياني ومؤخرته وفصل الجناح الايمن . وذلك بفضل ما ابداه جنود المؤخرة من البسالة في مقاومتها العدو الزاحف وبما قذفته عليه المدافع والرشاشات من النيران المهلكة . والفضل يرجع على الاخص في خلاص الجيش برمته من قبضة العدو الى شجاعة الفرسان الباورة فكانوا يحملون على العدو ويسعون عليه من التلال كالسيل وهم يصرخون صرخة الحرب (ساباوا) .

في البلاغ الالماني الرسمي : دفعت قوات كبيرة من الطليان جنودنا قرب (اسياكو) .

جاء في البلاغ الرسمي الايطالي : استولى العدو على مواقعنا المتقدمة في (كاليو) وفي (موتي فراخ) قرب (اسياكو) . ثم طردنا العدو من هذه المواقع واخذنا منه مئة اسير . واخذنا طلائع جيش العدو اسرى في [زنه] في وادي [سكانا] ودحرنا العدو على آكام (فلوريامونة) ثم عدنا الى ضفة نهر (پياڤه) التي وخرنا جسر (فيدور) .

أمّا ان على الحقد الحرى قرر القيام باعمال حربية واسعة النطاق في ايطاليا" وقوم باعداد هذه الاعمال الانكليز والفرنسويون على حد سواء ثم تيمهم الولايات المتحدة وتشاركهم في العمل .

وصدر بلاغ ايطالي جاء فيه : هم العدو على تهيد (آسياكو) فجمع في ساحات (كاليو) وفي (موتي نوكرا) وفي [جليناي كاليو] . ودارت رحى قتال عنيف في منطقة الهجوم الشمالية وكررنا على العدو واخذنا منه اسرى وقررنا مسالة في سائر ساحات القتال الجبلية. وتطلق المدافع نيرانها على طول نهر [پياڤه] .

اعلان

تعلن للعموم ان المستر يونهام كارتر رئيس العدلية قد نقل دائرته من محله سابقاً الى قسم من دار الحواجه متاجيم زنبيل ورقم المحار ١٠ وهي المسكن ٣٩٨ بموجب الترتيب العسكري والدار واقعة في شريعة خان الغرز في شارع النهر .

الفتاة الشرقية ولا سيما العراقية

من يجيري من صروف الدهر
اذ تناسى فرض تهذيبي اني
وعلوي عني جهلاً كشحه
ومعاني رهن قيد الغيب
كل شاهد مني زلة
راح مشمولاً بكاس العرب
وعمل اتسابه عوائق
ليته ادرك حد النسب
ما الذي اشغله لو منه قد
حزت قصوى اوبي مع حسي
راعي من قبل ريعان الصبا
وسقاني منه كأس الطرب
حيث قد اصبح رشدي بالذاً
وأب حبّ الملاهي اربي
فاذا الغير انتهى من مشربي
فأنا لا انتهي عن مشربي
لا تلوموني على قرط الاسى
ان قلبي لم يزل في لهب

من دفتر مذكرات محمد رؤوف السعودي

صفحات مطوية من حياة رائدة الصحافة العراقية

صادق الجميلي
باحث عراقي

كان محمد رؤوف السعودي ويكنى بابي عطوف. رجلا عركته الحياة واكسبته خبرة وتجربة عاش حياته بعصاميةفذة واجتازها بسلام ولم يترك لاسرته من متاع او نشب وانما ترك لها دفتر مذكراته وهو مثخن بشتى الموضوعات الاجتماعية والفلسفية والتاريخية والدينية كما دون فيه وصفا دقيقا لبغداد القديمة وما جرى فيها من احداث عاصرها وشاهدها بنفسه وكتب فيها باسلوبه الشيق الجذاب يسرد فيه القصص والحوادث التي لم يسمعها او يقرأها المواطن في مكان آخر انها جلاء للغامض والمجهول من تلك الفترة التي عاشها.

× ولد ابو عطوف في بغداد سنة ١٨٩٣ وعاش فيها ولم يدرس بمدرسة ولم يتخرج من معهد بل كانت مدرسته الحياة كلها اخذ عنها الكثير وكتب فيها كانت مهنته حياكة (الارز) ويزاولها في معمل والده علوان في محلة صبابيغ الال في رصافة بغداد ولما ذهب الزمان بهذه المهنة بزوال لبس الازر (والأزر) لباس خاص بالمرأة المسيحية في بغداد يقوم مقام العباءة تلبسه المرأة ايام الاعياد والاعراس كسدت هذه الصناعة وهجرها اهلها ومنهم ابو عطوف وفي سنة ١٩٣١ م استطاع ان يستأجر الحانوت العائد لدائرة البرق المركزي في محلة السنك بالباب الشرقي ليعمل فيه بتواضع بقية حياته التي امتدت الى اوائل السبعينيات حتى توفاه الله في بغداد في ١٩٧١/٥/٦ نشر الاستاذ الجميلي جزءا من مذكراته في مجلة المورد العدد ٤ مجلد ٨ الخاص عن بغداد وها هو يستكمل جزءا اخر من تلك المذكرات.

× يقول المرحوم السعودي:

ذكرياتي مع السيدة مريم نرمة رائدة الصحافة النسوية في العراق تبدأ من سنة ١٩٢٤ اذ كانت تسكن دارا في محلتنا (القاطر خانة) التي هي اليوم بناية (الثانوية الجعفرية) في شارع الوثبة، وبحكم الجوار دعتني السيدة لزيارتها في بيتها فلبيت الدعوة. وشربنا القهوة وجرى بيننا الحديث عن الصحافة والادب والكتاب والضجة التي بدأ يثيرها بعض الشباب المتطرف حول سفور المرأة وتبجها ومناصرة الدعوة التي كان يثيرها في مصر "قاسم امين" وغيره من الكتاب. وكانت السيدة مريم كلها ثورة ونقمة على هؤلاء الشباب.

وكلها نار حامية على الاوانس والسيدات اللواتي انسقن وراء هذه الدعوات من غير تبصر وروية وفي نظرها ان تكون مرحلة تعليم المرأة الخطوة الاولى لتحريرها من كل الافكار والاوهام التي تسيطر على عقليتها وبعد ذلك فعلى المرأة ان تقرر مصيرها وتشق طريقها نحو الحياة المثلى والمرأة الثالية عندها هي الكاتبة والشاعرة والادبية "ملك حفني ناصيف" المرأة المثقفة عاليا ولكنها في نفس الوقت غير متبرجة ولا سافرة سفورا مطلقا.

× وكانت متحجبة حجابا معتدلا يحفظ لها كرامتها كامراة تؤدي رسالتها في الحياة كزوجة وكأم ومربية وعاملة اذا احتاجها المجتمع في مجال تخصصها تخفض عن الرجل كثيرا من اعباء الحياة. فهي النصف المكمل للمجتمع الفاضل ويجب ان تعرف موقعها فيه، فكانت "ملك" تكتب وتنظم القصائد باسم "باحثة البادية" بمقالات مسلسلة تباعا.. وفي رأيها ان "ملك" خير من وضعت الخطة الناجحة وكانت القدوة الحسنة لتحرير الفتاة والمراة العربية من طغيان التقليد وذلك عن طريق التحلي بالاداب والفنون والمثل العليا والتعليم الهادف. وكانت السيدة مريم تنظر الى سفور المرأة قضية ثانوية فاللباس لايغير شيئا من طبيعة المرأة اذا عرفت نفسها وموقعها ومالها وما عليها من حقوق وواجبات وعلى كل حال ان السيدة لا تؤمن بالطفرة والقفزة السريعة التي تحركها الاهواء.

× وكانت السيدة مريم ذات نزعة اصلاحية اجتماعية متاثرة ببعض الكتاب الغربيين ومنهم الكاتب الاجتماعي "جون سيمون" ونقده حالة المرأة الاوربية والغربية بصورة عامة على تنكرها وتمردها على واقع الحياة الزوجية وكانت السيدة مريم امراة جاوزت العقد الثالث متزوجة ولكنها عقيم لا تنجب محافظة ومتدينة وترتدي الملابس الطويلة وتتلفع بازار يلف اطراف جسمها ولا يظهر منها الا الوجه والكفان، ولباسها شبيه باللباس الشرعي الاسلامي ذي الطابع العربي الذي كانت تتزي به المراة المسلمة في الحواضر والبوادي والارياف.. وفي عام ١٩٢٨ اخبرتني السيدة مريم بانها عزمت على اصدار مجلة ادبية عنوانها "فتاة العراق" ولكنها لم تصدر.

× وفي عام ١٩٣٣ زرتها في دارها الجديدة التي اشترتها في عقد العريض من المحلة ذاتها وقرأت لوحا من الخشب على واجهة باب الدار عليه (ادارة مجلة فتاة العراق) فاستبشرت خيرا فطرقت الباب واستأذنت بالدخول فاستقبلتني السيدة مريم بالترحاب الحار والاستئناس وقدمتني الى شخص لم اكن اعرفه من قبل وقالت له اقدم لك (اخي)! وقالت لي: اقدم لك صديقي الاستاذ الكاتب الاديب (يونان عبو يونان) فرحبت به وفرحت بلقائه.. واردفت السيدة قولها ان الاستاذ عبو سيكون رئيس تحرير مجلتي.. وفي سنة ١٩٣٤ صدر العدد الاول من مجلة "فتاة العراق" وفي العدد الثاني منه ساهمت بتحرير مقالة بقلمي عنوانها "وجوب العناية باللغة العربية في المدارس الاهلية" واردت بها المدارس المستقلة عن المنهج الوزاري وعلى الاخص المدارس الاجنبية والطوائفية الدينية منها، وصدر العدد الثالث ولم يصدر عدد رابع حتى كتابة هذه السطور (سنة ١٩٦٩) وواخبرتني السيدة انها خسرت مائة دينار بسبب اصدار هذه المجلة التي لم يكتب لها الرواج والتوفيق وقالت اللوحة في مكانها تعلو باب دارها الى مابعد انتهاء الحرب العالمية تحمل اسم المجلة!.

وقد ذكرني بالسيدة الفاضلة مريم بعد ما كتبه عنها السادة الادباء عن اقدم صحفية عراقية مريم نرمة ام بولينا حسون؟!! بمناسبة العيد المئوي للصحافة العراقية ١٨٦٩ – ١٩٦٦).

ذكرت المرحومة صبيحة الشيخ داود في كتابها "اول الطريق" ان السيدة نرمة اصدرت مجلة "فتاة العرب" في ٦ ايار ١٩٣٧ وهي (مجلة ادبية انسانية اجتماعية غايتها خدمة الفتاة العراقية). وكانت السيدة من اوائل الكاتبات اللواتي ساهمن في معالجة الشؤون الاخلاقية والاجتماعية عن طريق الصحافة.

وكان عزم نرمة معقودا على اصدار مجلة باسم فتاة العراق ثم عدلت عنها الى فتاة العرب بعد ان صدرت مجلة تحمل نفس العنوان (وكانت صاحبة امتيازها حسيبة قاسم راجعي) وقد عاشت فتاة العرب "ستة اشهر واضطرت صاحبتها الى ايقافها بسبب الخسران المادي الذي لحق بها وقالت: انه بلغ ٤٥ ليرة ذهباً.

وقد دعت وزارة الاعلام الى الاحتفال بالعيد المئوي للصحافة العراقية لتكريم اولئك الذين وضعوا اللبنات الاولى في صرح الصحافة في القطر العراقي ومنهم السيدة مريم نرمة وقد شاركت في هذا الاحتفال وكانت على قيد الحياة . وقد صدر بالمناسبة كراس عن لجنة الاحتفال يعرف بهذه الصحيفة ويترجم حياتها بسطور اسمها الكامل (مريم نرمة) عمرها ٧٩ عاما. ولدت في بغداد ثم انتقلت الى البصرة وعادت الى بغداد حيث لازالت تعيش الان. انها عراقية.. عربية بدأت اول كتاباتها الصحفية في الاول من ايار سنة ١٩٢١ وذلك في مجلة "دار السلام" الادبية التي كان يصدرها الاب انستاس الكرملي. وكان عنوان المقال "ثقفوا اولادكم وبناتكم لمكافحة الاستعمار". ثم نشرت سلسلة من المقالات والمواضيع في صحف عراقية عديدة كان منها جريدة العالم العربي ومجلة الصباح وجريدة الاحد وغيرها ناقشت الكثير من الكتاب العالميين في امور وطنية واجتماعية فقد ناقشت "الفرد كروس" الاستاذ بجامعة كاليفورنيا بامريكا وهاجمته لانه هاجم المرأة العربية في مقالات نشرها الصحف الامريكية وفي سنة ١٩٣٧ اصدرت جريدة فتاة العرب "ورغم ان كل كتاباتها عن المرأة ووجوب تثقيفها وتحررها فانها هي نفسها كانت محجبة حتى الى ما قبل بضع سنوات!!.

توفيت السيدة مريم بعد كاتب المذكرات بسنوات .. وفي حدود سنة ١٩٧٣ والكاتب توفي في ٦ مايس ١٩٧١.

مريم نرمة

محمد رؤوف السعودي

تمثل هذه الصورة ثلاث عرضات من مستخدمات مستشفى الصالحية الاهلي اصابهن الدكتور يحيى رضت الذي استقل بتجمعهم يوم ٢ الجاري تحت رعاية صاحب الفخامة الاستاذ السيد رشيد علي الكيلاني فعسى ان يكون الدكتور قدوة صالحة لغيره من أطبائنا فيقوموا بتطعيم في

لمحات من تاريخ الصحافة الكردية

حامد محمد علي

الصحافة هي مرآة الشعب، وإحدى أهم العوامل المؤثرة في الرأي العام، وهي كما تؤثر في حياة الشعوب وحركاتها، تتأثر أيضا بواقعها السياسي والتاريخي والحضاري، فالشعوب المتقدمة حضارياً، تتميز بصحافة مزدهرة وعريقة؛ إذ أن تاريخ الصحافة وتطورها يرتبط ارتباطا وثيقا بتاريخ الشعوب.
ويتأثر بعوامل شتى، وهي في تفاعل مستمر مع تلك العوامل (وقد يكون تنامي الشعور القومي والحركة التحررية الوطنية واحداً من تلك العوامل إلى جانب العوامل الأخرى بالنسبة للأمم..

غير أن تاريخ الصحافة الكردية ومسيرتها عبر مايزيد على قرن واحد، مرتبط بحركة التحرر الوطني الكردية، وتكاد تكون هذه الحركة هي البوصلة التي تحدد نمو او انحسار الصحافة عبر مد الحركة وتصاعدها أو جزرها وانكساراتها).

أما بخصوص أهم مراحل تطور وازدهار الصحافة الكردية، فيمكن تحديدها بالمحطات أو المراحل الأساسية التالية:

أولا- مرحلة ثورة وحركة الشيخ محمود الحفيد في كردستان العراق ١٩١٩ – ١٩٢٣ وبعدها

لأسباب عديدة – لا يسع المجال لذكرها هنا – توفرت للصحافة الكردية في العراق عوامل التطور والنمو أكثر من غيرها من أجزاء كردستان.. وتعود بدايات ظهور الصحافة الكردية هنا إلى ما قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى بعدة اشهر وفي السنة الأخيرة من تلك الحرب ومع انتهائها، بدأت مرحلة جديدة من مراحل تاريخ الصحافة الكردية في العراق، ففي كانون الثاني عام (١٩١٨) أصدر المحتلون الانجليز أول جريدة كوردية عراقية باسم (تيكەيشتنى راستى – فهم الحقيقة) وبعدها بسنة وثلاثة اشهر (نيسان ١٩١٩) أسس (ميجر سون) الضابط السياسي البريطاني في مدينة السليمانية جريدة (پيشكەوتن) الكردية – الأسبوعية، التي استمرت في الصدور بشكل منتظم حتى عودة (الشيخ محمود) من منفاه الى مدينة السليمانية في حزيران (١٩٢٢) وصدر منها (١٤٤) عدداً.

بعد ذلك بدأت مرحلة مهمة ومزدهرة من تاريخ الصحافة الكردية بصورة عامة وفي العراق على وجه خصوص في عهد (حكومة شيخ محمود) وحركاته ضد الانجليز، صدرت عدة صحف كوردية رغم الإمكانات الطباعية والصحفية المحدودة؛ وأهم هذه الصحف حسب التسلسل التاريخي هي:

١- بانك كوردستان/ ئاب ١٩٢٢.
٢- روز كوردستان/ تشرين الثاني ١٩٢٢.
٣- بانك حق / اذار ١٩٢٣.
٤-ئوميد استقلال / ايلول ١٩٢٣

وهي كلها صحف أسبوعية، سياسية أدبية اجتماعية؛ تصدر بأربعة صفحات فقط؛ الصحف الثلاثة الأولى كانت رسمية تعبر عن سياسة الشيخ محمود وسلطته، أما الرابعة فصدرت بعد تدهور العلاقة بين الشيخ وسلطات الاحتلال الانجليزي واستيلائهم على المطبعة.

صدرت تلك الصحف جميعها في السليمانية وأطرافها خلال أقل من سنة ونصف، وكانت تنشر مقالات سياسية واجتماعية وثقافية قوية إلى حد ما، حيث كان يعمل فيها نخبة من المثقفين الملتفين حول الشيخ محمود وحكمداريته.

وبعد انتهاء سلطة الشيخ محمود وصحافته، صدرت في السليمانية صحف أخرى معروفة ومهمة، منها (زيانەوە ١٩٢٤) و (ژيان ١٩٢٦) و (ژين ١٩٣٩) .. وبعدها صدرت في بغداد مجلتا (كه لاويژ ١٩٣٩) لصاحبها ابراهيم احمد و (نـزار ١٩٤٨) لصاحبها علاءالدين سجادي وهما مجلتان معروفتان و تعتبران من أرقى المجلات الكردية من حيث مضامينها ورصانة المقالات التي كانتا تنشرانها.

كما صدرت في قصبة (رواندز) التابعة لمحافظة اربيل في كردستان العراق عام ١٩٢٦ مجلة (زارى كرمانجي) من قبل المؤرخ المعروف (حسين حزنى موكرياني) واستمرت المجلة لمدة (ست سنوات) وصدر منها (٢٤) عدداً فقط.

ثانياً/ مرحلة ما قبل جمهورية كردستان (مهاباد) الكردية في كردستان إيران و أثنائها..

تعود بدايات نشوء الصحافة الكردية في الجزء الشرقي من كردستان – كردستان ايران – إلى عام ١٩١٤ حيث صدرت أول مجلة كوردية في هذا الجزء من قبل المبشرين البروتستانت بالتعاون مع المؤسسات الالمانية في مدينة مهاباد كما يقول (المستشرق مينورسكي).

وبعد انتهاء الحرب العالمية الاولى وسيطرة (سمكو)(٤) على مدينة ورمى (رضائية) شمال غرب ايران، حيث كانت فيها مطبعة، اصدر المذكور عام (١٩٢١) جريدة خاصة بحركته بعنوان (روز كورد شەوى عەجەم) و قد توقفت بعد انهيار حركته.

وفي منتصف الأربعينات من القرن العشرين صدرت في هذا الجزء من كردستان مجلة باسم (هاوار) أو (هاوارى كورد) في مدينة مهاباد.

تعتبر مرحلة جمهورية (مهاباد) أو (جمهورية كردستان) في إيران بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، واحدة من أكثر مراحل تاريخ الصحافة الكردية ثراء وازدهارا، من حيث عدد الصحف والمجلات التي صدرت في تلك الفترة القصيرة ومن حيث نوعيتها.. فخلال هذه المرحلة وقبلها بقليل، صدر في مدينة (مهاباد والمدن الكردية المجاورة لها) عدد من الصحف والمجلات أهمها:

١- مجلة (كردستان) صدر العدد الأول منها في (٦ كانون الأول ١٩٤٥) في مهاباد.. اي قبيل الاعلان عن جمهورية مهاباد بفترة وجيزة، وكانت مجلة قومية الاتجاه، ولسان حال الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني، وقد استمرت هذه المجلة خلال فترة جمهورية مهاباد بقيادة (قاضي محمد) حتى نهاية عام (١٩٤٦) حيث سقوط الجمهورية.

٢-جريدة (كردستان): صدر العدد الاول منها في ١١ كانون الثاني (١٩٤٦) وكانت لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستاني الإيراني ايضاً، وكان يصدر منها ثلاثة أعداد في الأسبوع وبأربع صفحات، حيث صدر منها حتى إغلاقها مع إسقاط جمهورية كردستان (مهاباد) (١١٠) عدداً.

٣-مجلة (هه لاله): وصدر العدد الأول منها في مطلع شهر آذار ١٩٤٦ في مدينة (بوكان) القريبة من مهاباد ولم يصدر منها سوى أعداد قليلة.

٤-مجلة (هاوارى نيشتمان): وكانت لسان حال الشبيبة الديمقراطية الكردية في كردستان ايران، وصدر العدد الاول منها في مدينة مهاباد في ٢١ اذار ١٩٤٦.

٥- مجلة (كروكالي منداالاني كورد): وهي أول مجلة كوردية للاطفال، صدرت منها (ثلاثة أعداد) فقط في مدينة مهاباد خلال الاشهر (نيسان ومايس وحزيران) عام ١٩٤٦.

اذاً هذه المرحلة من تاريخ الصحافة الكردية كانت من المراحل المزدهرة قياسا الى المراحل التاريخية السابقة والظروف المحيطة بجمهورية كردستان الفتيه، حيث التنوع في الصحف الصادرة من حيث الشكل ومن حيث الشرائح والطبقات التي تمثلها، وكذلك من حيث عدد الصحف التي صدرت خلال تلك الفترة الزمنية القصيرة نسبياً والتي لم تتجاوز سنة واحدة..

ثالثاً/ مرحلة مابعد ثورة الرابع عشر من تموز 1958 في العراق

تميزت هذه المرحلة ايضاً بصدور العديد من الصحف والمجلات الكردية، خاصة في مدينتي (السليمانية وبغداد) وكانت أبرزها صحف سياسية أو صحافة الأحزاب التي خرجت بعضها من السر الى العلن كصحيفة (خەبات) لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستاني العراقي التي صدرت في (نيسان ١٩٥٩) وهي جريدة (عربية) من حيث اللغة، ولكنها (كوردية) من حيث المحتوى والنهج والمرجعية، وكذلك صدرت في مايس من نفس العام جريدة (ئازادى) وهي لسان حال الحزب الشيوعي العراقي – فرع كوردستان وشهد تاريخ الصحافة الكوردية في هذه المرحلة نوعاً جديداً من المجلات والصحف الا وهي صحافة المنظمات، وابرزها الصحافة الطلابية.. وصدرت ايضا مجلات أدبية ذات مستويات مرموقة.

لقد تأثر وجود حرية الصحافة الكردية – بغض النظر عن نوع الصحافة – في كل جزء من أجزاء كردستان بالأجزاء الأخرى.

فالمد الصحفي الذي تبع ثورة تموز بالعراق أدى إلى السماح بصدور جريدة كوردية في (طهران) كانت تحمل اسم (كردستان) أيضاً ورغم الطابع الرسمي لتلك الجريدة، فقد أسهمت في نشر مكونات التراث الأدبي الكردي، وقد توقفت تلك الصحيفة عن الصدور بانحسار المد الصحفي الكردي في العراق.

كما انعكس هذا الواقع على تركيا، حيث تغاضت السلطات التركية عن صدور بضع مجلات باللغة الكردية.

وقد انحسرت هذه المرحلة بعد عامين وعدة اشهر من صدور (خەبات) حيث اندلعت ثورة ايلول عام (١٩٦١) في كردستان العراق، ولم يصدر في الداخل بعدها سوى عدد قليل من المجلات الأدبية؛ فبدأت مرحلة جديدة من النشاط السري (صحافة الجبل) وكانت تعبر عن أهداف الثورة وتغطي نشاطات قوات البيشمرطة (الثوار الكرد) كما كانت تؤدي دوراً ملموساً في تعبئة جماهير شعب كردستان ودفعه نحو التعاطف مع الثورة وقيادتها ومساندتها بالإمكانات المتاحة، ولكن توزيع هذه الصحف كان محدوداً لم يتجاوز جغرافية مناطق الثورة، أو بعض المدن والقصبات بشكل محدود جداً.

رابعاً/ مرحلة بيان (11) آذار في العراق (1970 - 1974)

بصدور بيان الحادي عشر من آذار (١٩٧٠) والذي عرف باتفاقية ١١ آذار، اعترفت الحكومة العراقية لأول مرة وبشكل علني عبر ذلك البيان الرسمي بالحقوق القومية للشعب الكردي في إطار الدولة العراقية.

وتضمن البيان الإعلان عن هدنة بين الحكومة والحركة الكردية لمدة اربع سنوات، ليتسنى خلالها تطبيق المبادئ التي وردت في الاتفاقية، وذلك عبر إصدار قانون خاص باسم قانون الحكم الذاتي.

وقد انعكس الوضع الجديد على الواقع الثقافي والصحفي الكردي في العراق، لأن الانفراج السياسي الذي جاء بعد البيان المذكور، كان كفيلاً ببدء مرحلة جديدة من النضال ومن الحياة الثقافية والصحفية الكردية في العراق.. فصدر العديد من الصحف والمجلات الكردية من قبل الحكومة المركزية وكذلك من قبل قيادة الحركة الكردية وعن طريق المنظمات الجماهيرية والمهنية الكردية؛ فشهدت الصحافة الكردية توسعاً كمياً ونمواً وازدهاراً كبيرين، كجزء من الواقع الثقافي العام الذي شهد تطوراً ملموساً في هذا الجزء من كردستان بعد بيان ١١ اذار ١٩٧٠.

ابرز الصحف والمجلات التي صدرت في هذه الفترة وازدهرت خلالها:

١-جريدة التآخي وملحقها الكردي، والتي صدرت لأول مرة في بغداد في ٢٩ نيسان ١٩٦٧ كجريدة عربية يومية لسان حال الحزب الديمقراطي الكردستاني وصدر ملحقها الكردي (برايى) في ٦ مايس١٩٦٧ وكان أسبوعيا.

لقد ازدهرت صحيفة التآخي وملحقها خلال مرحلة اتفاقية آذار وأصبحت إلى.. مع الصحف العراقية الأخرى تهتم بالمسائل السياسية والاقتصادية والإجتماعية والثقافية؛ وكانت تلقى استقبالاً حاراً من قبل القراء الكرد والعرب كذلك؛ وفي الاول من كانون الثاني ١٩٧٤ تحول (برايي الملحق) لاول مرة الى صحيفة يومية كوردية سياسية، واستمرت في الصدور حتى ١٩٧٤/٢/٨ حيث صدر منها عددا فقط، وهي أول صحيفة كوردية يومية في التاريخ؛ وقد توقفت عن الصدور نتيجة لتأزم العلاقة بين الحكومة العراقية وقيادة الحركة الكردية وفشل تطبيق قانون الحكم الذاتي لكردستان العراق، حيث بدأ القتال ثانية في أواسط آذار ١٩٧٤ بعد أربع سنوات كاملة من المفاوضات والهدنة، فدخلت الصحافة الكردية مرة أخرى مرحلة جديدة من الصدور، أما في ظل الحكومة المركزية، أو في مناطق الثورة بإشراف قيادة الحركة الكردية.

٢-جريدة (هاوكارى) الأسبوعية: وصدرت في بغداد في كانون الثاني ١٩٧٠ واستمرت إلى بدايات القرن الحالي وكانت تصدر في البداية من قبل (دار الجماهير للصحافة) ثم تحولت بعد بيان الحادي عشر من آذار الى (دار الثقافة والنشر الكردية).

٣-مجلة (بەيان) الأدبية: صدر عددها الاول في تشرين الثاني (١٩٦٩) في بغداد وازدهرت في مرحلة بيان ١١ آذار وكانت تصدر من قبل دار الثقافة والنشر الكردية شهرياً.

٤-مجلة (روزى كوردستان – شمس كردستان) الثقافية الشهرية : وصدر العدد الاول منها في حزيران ١٩٧١، وكانت تصدر من قبل (جمعية الثقافة الكردية) في بغداد.

٥-مجلة (روشنبيرى نوى) الأدبية والثقافية: صدر العدد الأول منها في تشرين الثاني ١٩٧٣ وكانت تصدر من قبل (دار الثقافة والنشر الكردية) ببغداد، وقد تطورت في السنوات اللاحقة واستمرت إلى أوائل التسعينات.

والى جانب تلك الصحف والمجلات السياسية والأدبية والثقافية العامة، صدرت صحف ومجلات أخرى خلال هذه المرحلة من تاريخ الصحافة الكردية في العراق، والتي تعتبر من المراحل المزدهرة، وكانت هذه الصحف والمجلات تابعة للشرائح والطبقات المختلفة للمجتمع الكردي من اتحادات الطلبة والمعلمين والكتاب والأدباء، وكذلك مجلات علمية وأكاديمية، صدرت من قبل المجمع العلمي الكردي في بغداد، وكلية الآداب بجامعة بغداد.

وصدر ايضاً في هذه المرحلة عدد من الصحف والمجلات في المدن الكردستانية) الرئيسية (اربيل والسليمانية وكركوك ودهوك

تاريخ بيع الصحف في بغداد

كاظم البيضاني

يقولون ان التاريخ سجل لاحداث الماضي، يطلع من خلاله الناس على احداث العالم السياسية وعن اسباب الحروب التي تقع بين الدول . ننظر من خلال هذا السجل الى اوضاع الناس الاقتصادية ويسجل لنا ازمات العالم المالية ومشاكل الناس . من خلاله نتصور وقاحة السياسيين وانجازات المخلصين الوطنيين فنستذكر الوطني الذي عمل لمصلحة بلده وشعبه ونخلد ذكراه ونعرج عن الاسباب التي دفعت الاخرين لسلوك طريق مغاير . ففي التاريخ عبر ودروس كما يقول ابن خلدون.

بيد ان هذا التاريخ الذي نحن بصدده لم تدون احداثه بكل تفاصيلها فكل ما فيه اخبار للملوك والرؤساء وربما لا نجد فيه إلا قليل من اخبار الناس واوضاعهم العامة ، اذ ان التاريخ غير مكتمل في كل تفاصيله. فهو سجل ينقصه الكثير من الاخبار والاحداث . والحقيقة ان هذه السمة هي التي ميزة العصور السالفة.

ربما يحاول البعض ان يثبت العكس فيقول ان التاريخ سجل كل الاحداث بتفاصيلها فالاحداث السياسية والمعارك الحربية والاوضاع الاقتصادية والاجتماعية بل ان المؤرخين تحدثوا عن الامثال وطبيعة المجتمع واللهجات وكل ما يرتبط بالتراث الشعبي .

نقول نعم ولكنهم اهملوا جوانب ووجوه اخرىمن حياة الناس واوضاعهم . ولكي لا نتشعب في البحث والاستقصاء نتناول الصحافة والعمل الصحفي .

فالمؤرخون دونو الكثير عن تاريخ الصحافة واسماء الصحفيين وحياتهم وربما تحدثوا عن مكائن الطباعة والمطبعيين وتطور الطباعة غير انهم اهملوا جانب مهم يرتبط بهذه الصحافة وهو التوزيع ، لم يسأل الاساتذه الكرام الذين عملوا في حقل التاريخ انفسهم عن الطريقة التي تصل بها الجريدة الى المواطن او القارء ؟ من هم هؤلاء الجنود المجهولين الذين من خلالهم تصل الصحف الينا ؟

نحاول من خلال ما حصلنا عليه من معلومات ان نبين مراحل تطور مهنة بيع الصحف في بغداد والاساليب عند هؤلاء الباعه في الترويج لبضاعاتهم كذلك نبين طبيعة العلاقة بين الباعة وبين الزبائن .

يحدثني الحاج ابو احمد (عباس المالكي) ان المطابع في بغداد كانت في منطقة الحيدرخانة وان باعة الصحف يفدون الى المطابع بعد الساعة الثانية ليلاً لشراء الصحف . هنا يتبادر الى الذهن سؤوال عن كيفية اهتداء هؤلاء الباعة الى هذا الاسلوب في البيع ؟ ومن هم ابرز هؤلاء الباعة؟

ينقل الاستاذ (خالد خلف) ان باعة الصحف كانوا ينقلون صحفهم ويطوفون بها الشوارع الرئيسية فبي بغداد وقسم من هؤلاء الباعة يذهبون الى بيوت السياسيين او المهتمين بالسياسية او بيوت المثقفين والوجهاء. هذا الاسلوب في البيع استمر حتى عام ١٩٣٥.

كان معظم هؤلاء الباعة من الشباب ممن يجيدون القراءة والكتابة الذين يمتلكون حس وطني عالي ، فقد قتل احد هؤلاء في احداث عام ١٩٢٠ برصاص الانكليز بعد ان اخذ يحرض الناس على الثورة . ووفق هذه الرواية فان عددهم اي الباعة لم يتجاوز الثلاث توزعوا على النحو التالي:

١- كاظم دوحي واخيه قاسم دوحي هؤلاء الاخوة يتناوبون على بيع الصحف. اما مناطق بيع الصحف التي يتواجدون فيها فتبدأ من شارع حسان بن ثابت الى مقهى الزهاوي الى القشلة (السراي).

٢- (حمودي عطا) وقد حدد منطقة البيع التي يتجول فيها من مسجد امام طه (ساحة الرصافة حتى جامع مرجان المنطقة المقابلة (للبنك المركزي الحالي).

٣- اما البائع الثالث فهو (خلف داخل) والذي ينطلق من ساحة الميدان في باب المعظم ثم يمر على دور السياسيين نحو منزل جعفر العسكري ونوري السعيد، ثم يتجه نحو جامع الاوزبكي. والظاهر انه ينهي طوافه قبل الظهر بعد ان يبيع معظم صحفه .

ويبدو ان جامع الاوزبك كان يمثل محط لرحلة هذا الشاب الذي لم يتجاوز عمره في تلك المرحلة (١٧) سنة . كانت تربطه علاقات طيبة مع امام المسجد الذي ينتهي اليه او المحطة الاخيرة التي تستوقفه خلال عملية بيعة للجرائد . كان امام المسجد في تلك الحقبة هو الشيخ جلال الحنفي الذي اقترح على خلف داخل ان يقوم ببيع الصحف امام المسجد . وفعلاً قام هذا الشاب ببيع الجرائد امام باب الجامع حيث افترش الارض امام باب المسجد واخذ يمارس عمله.

طريقة العرض استهوت القراء الذين اخذوا بالتهافت على هذا المكان الامر الذي دفع خلف لعرض صحفه على (مسطبة) خشبية امام باب المسجد وبد يطور طريقته في العراض وبذلك بدأت مرحلة جديدة في في تاريخ الصحافة العراقية حيث اخذ البائع (قاسم دوحي) بعرض صحفه على مسطبة خشبية امام مقهى الزهاوي ،ولعل عام ١٩٣٧ هو عام استقرار هؤلاء الباعة في اعمالهم في اماكن خاصة وثابته . (فبعد ان كانوا يبحثون عن الزبائن بدأ الزبائن البحث عنهم).

والحقيقة ان صحف عقد الثلاثينات من القرن الماضي كانت على درجة عالية من الرصانه والموضوعية الامر الذي ساهم في إقبال القراء عليها ولعل صحيفة البلاد التي ادارها الإعلامي الراحل روفائيل بطي كانت على رأس هذه الصحيفة في التوزيع ثم جريدة العالم العرابي التي يرأس تحريرها (سليم حسون)وجريدة اليقضة لسليمان الصفواني ...الخ ولم ترد للباحث معلومات عن الاعداد التي يتم توزيعها من هذه الصحف او عدد ما يطبع منها .

والظاهر ان الاسقرار والاستقلال هما سمتان ميزتا هذا الموزع الشاب الذي قام بفتح مكتبة خاصة لبيع الصحف وهي اول مكتبة لهذا الغرض فتحت في بغداد وخصصت لبيع الجرائد. تقع هذه المكتبة ضمن محلات محيط وزارة الدفاع الى الجانب الايمن للوزارة وحتى المدرسة المامونية التي ازيلة بنايتها مطلع الخمسينات من القرن العشرين.

وبعد تنامي قدرات الدولة العراقية في المرحلة الملكية سعت الى التوسع في بناية وزارة الدفاع الامر الى دفع الحكومة لازالة المحلات وتوسيع الوزارة ثم بناء السياج الخارجي عوضاً عن هذه المحلات فستأجر محل اخر جديد مقابل وزارة الدفاع وهو واحد من ثلاثون محل تشغل مكنها الان المكتبة الوطنية.

هناك قصة طريفة ينقلها لي نجله الاستاذ خالد خلف تتحدث عن قيام والده ببيع الصمون بعد تازم الأوضاع الاقتصادية بسبب احداث عام ١٩٤١ وقيام رشيد عالي بحركة انقلابية الامر الذي دفع(خلف داخل) ببيع الصمون بدل الصحف حيث اصبح الموزع لهذه المادة الغذائية في عموم الرصافة ويبدو ان ذلك تم بطلب من امين بغداد في حينه (ارشد العمري) الذي طرح عليه هذه الفكرة.

اصبح خلف داخل متعهد توزيع (صمون) في الرصافه، واستمر بعمله هذا لمدة سنتان غير ان الاوضاع لم تستمر على نسق واحد حيث القي القبض على احد العمال وهو يبيع الصمون بسعر عالي .وبعد التحقيق مع هذا العامل الذي قال انه يعمل مع متعهد الرصافة . اعتقدة الاجهزة الامنية في حينه ان المتعهد هو من يطلب من هذا الموزع رفع سعر البيع . ويبدو انه اودع السجن بهذه الوشاية.

استطاع (خلف داخل) ان يبني علاقات واسع شفعت له عند القاضي عبد الحميد الاعرجي مما دفعه لاطلاق سراحة بكفالة .غير ان السياسيين ومعارف (خلف) اخذو بالاتصال بالقاضي سعياً لانهاء هذه القضية .وفي يوم المحاكمة ذهب (خلف) الى المحكمة وهو ارمد العين بعد ان استنشق بخار الصمون الساخن جداً اثناء فتحة العلب الخاصة بالصمون فرمدة عينة. اعتقد القاضي ان دموع خلف التي انهالت على خده هو بسبب خشيته من السجن فقال له : "خلف انت تبكي" غير ان خلف اجاب القاضي فشرح له السبب الذي ادى الى انهمار دموعه. ثم قال له القاضي : "لقد اتصل بي عدد من السياسيين وهم يطلبون اطلاق سراحك . امامك اما ان سحب الوكاله الخاصة ببيع الصمون او تعرض نفسك للسجن لمدة شهر " قال له خلف : "بي انا بائع صحف ما علاقتي بالصمون لولى ارشد بي العمري " .وبذلك عاد من جديد لمهنته التي احبها.

ينقل لي الحاج كاظم عبد الحاج شنجار ان فترة الاربعينات من القرن العشرين شهدت اوضاع اقتصادية صعبة مما دفع الدولة للتقليل من استيراد الورق المخصص للصحف كذلك قامت الاحزاب بايقاف بعض انشطتها الصحفية الامر الذي تسبب في كساد عمل موزعي الصحف حيث دفع قسم منهم للعمل باعمال اخرى.

لقد شهدت حقبة الاربعينات احداث سياسية كبيرة كان اخرها احداث فلسطين التي كان لها ردود افعال قوية بالشارع العربي والعراقي فظهرة صحف عديدة في هذه الحقبة تبنت هذه القضية وهناك صحف اخذت على عاتقها قضية الشعب العراقي؛ ويبدو ان مكتبة (داخل) اصبحت مقر لبعض رؤساء التحرير ومن هؤلاء المحامي طه الفياض صاحب جريدة الشعب الذي اصبح نقيب الصحفيين عام ١٩٦٠ بعد ان غادر الجواهري الى (جيكوسلوفاكية) .

ومما ينقل عن هذا البائع المتنور انه طلب من (جبار) شقيق محمد مهدي الجواهري موزع جريدة (الري العام) العائدة للشاعر الجواهري ان يقوم الجواهري بنشر قصيدة (امنت بالحسين) مقابل قيامه بشراء كل الكمية الخاصة بالعدد الذي نشر هذه القصيدة وفعلاً تم نشر هذه القصيدة عام ١٩٥٠ في ٩ محرم اي بعد عام من القائها من قبل الشاعر في مدينة كربلاء .

من المفارقات ان عدد النسخ التي تم بيعها في هذا اليوم بلغ(٢٠٠٠) نسخة وهو عدد اذهل الشاعر الجواهر . لان هذه الصحيفة لم يتجاوز اعلى توزيع لها (٥٠٠) نسخة .والحقيقة ان (خلف داخل) قام بنقل كل الكمية المطبوعة من الصحيفة الى مدينة الكاظمية .عند احد الابواب الخاصة بالضريح الطاهر حيث تفد مواكب المعزين من كل ارجاء العراق لتتجه في نفس اليوم الى مدينة كربلاء .ومع تهافت المعزين اخذ (خلف داخل) ينادي باعلى صوته : "اقرء قصيدة امنت بالحسين للجواهر " .يقولون ان الجواهري قام بطبع القصيده في نفس الجريدة التي كانت تصدر بنشرة مسائية وبهذه الطريقة وهذا الاسلوب كان يتعامل باعة الصحف وموزعيها والذين ارتبطوا بعلاقات طيبة مع الطبقة السياسة وكانوا على ود مع المثقفين واللفنانين

كان خلف يرتبط بعلاقات طيبة مع رجال الدين امثال الشيخ جلال الحنفي والشيخ كمال الدين الطائي امام جامع المرادية والشيخ عبد الله الشيخلي والشيخ كامل البدري وكانت له علاقات طيبة مع قراء المناقب النبوية امثال الملا بدر الدين الاعظمي والشيخ عبد الفتاح معروف والملا مهدي ومع محمد القبنجي الذي كان قارء منقبة .

ومع بداية عقد الخمسينات من العقد المنصرم انتقل الى مكان اخر لبيع صحفة والترويج اليها فانتقل الى محل في بناية مجاورة لمصلحة نقل الركاب .ثم انتقل الى محل بقرب نادي(المهداوي) وكان ذلك عام ١٩٦١ و هذا المحل يقع بقرب موقع محله الاول واستمر على عمله حتى عام ١٩٦٨ حيث بدأت مرحلة جديدة في تاريخ الصحافة العراقية .فتقلص عدد الصحف واقتصر على صحيفتين او واحدة هي جريدة الثورة ثم الجمهورية وبذلك بدء نشاط بيع الصحف في العراق يتراجع الامر الذي اثر سلباً على عمل الباعة فقد ترك العديد منهم العمل.ومع هذا التراجع بدأ التضييق على الكلمه الحرة وبدأت الاعتقالات والمطاردات البوليسية من قبل رجالات السلطة غير ان هذا النمط الذي لم يألفة هذا البائع الامر الذي اوقعه في مطبات ومن ذلك ما نقلته جريدة الثورة الناطقة بسم الحزب الواحد والصادرة في ١٥ حزيران عام ١٩٧٥ ان الصحفي عندما سأله عن ايهما افضل صحافة الحزب والثورة ام صحافة الشعوبيين والانظمة الفاشية قال خلف وبكل جرأه : "صحافة العهود السابقة كانت افضل من صحافة هذا العهد كان الاهتمام بالصحافة اهتمام جيداً وكن الوزراء والمسؤولون يهتمون اهتمام واسع بما يكتبمن مقالات وحوارات اما مسؤلين اليوم فاكثرهم ما يهتمون إلا بالتبرعات الى الدول الافريقية دول لا علاقة لنا بها (كذا مليون للصومال وكذا مليون لزمبابوي،والصومال وارتيرية.." تم قال : " عرب وين طمبورة وين" ويبدو ان المحر نشر اللقاء كما هو . في اليوم التالي استدعي خلف الى القصر الجمهوري حيث كرم من قبل احمد حسن البكر .

في عام ١٩٨٢ اعتقل خلف داخل في مديرية الامن العامة ثم اطلق سراحه وعندما تحقق في الامر اتضح له ان الشحاذ الذي يجلس بقرب مكتبته هو من وشى به الذي كان يعمل بصفة ضابط في الامن العام. وكان سبب الوشايه انه قال : "لو حربنا مع ايران كانت بين اسرائيل ودولة اخرى مو يوكفوها بسرعة" .

المهم في الامر ان هذا الرجل لم يتوقف عن قول الحقيقة والم تهز جرأته سياط الجلادين فقد قال لمحرر صحيفة القادسية الصادرة يوم الاثنين ١٩٩٢/٦/١٥ عندم سأله عن الفرق بين صحافة الامس واليوم قال: "بصراحة ان مساجلات تلك الايام كانت تنتج ندوات وحوارات مفيدة وغنية مما لا اجده هذه الايام في صحافتنا" .

توفى خلف داخل عام ١٩٩٧ بعد ان ترك ارث كبير في قلوب العراقيين فعرفة الجميع غير ان المؤرخون نسوه وهذا حال التاريخ فكثير ما يهمل سير صانعيه.

"أكليل الورود" أول مجلة تصدر في العراق

ابراهيم خليل
مدرس مساعد/ قسم التاريخ / كلية الاداب

يعتبرالاباء الكبوشيون.. والدومنيكان من اقدم الارساليات المسيحية التي قدمت الموصل.. حيث تأسست فيها رسالة كبوشية سنة 1632 وكان الغرض من تأسيسها محاولة جذب التساطرة الى حضيرة الكنيسة الكاثوليكية. ولم تلق الرسالة الكبوشية نجاحا في اعمالها الدينية على الرغم من ترحيب الحكام الجليليين بها ترحيبا واسعا، فاضطرت في سنة 1724 الى مغادرة الموصل. اسس الاباء الدومنيكان رسالتهم في الموصل سنة 1750 وكان يتقدمهم الابوان الايطاليان فرنسيس توروباني وعبد الاحد كوديلنشيني فاستقبلهم الجليليون بحرارة وافسحوا لهم مجالا للعمل ودافعوا عنهم، واشتهر الدومنيكان بصناعة الطب. كما فتحوا بعض المدارس.

مارس الاباء الدومنيكان نشاطهم في الموصل، فاسسوا مطبعتهم لما رأوا ما يعانيه المعلمون والطلاب من المشقات لنقص الكتب اللازمة على اصول حديثة لتعليم الناشئة في اللغات الثلاثة. العربية والكلدانية والفرنسية على اصول حديثة ونشروها في الموصل وقراها.

اسهم نشاط الارساليات التبشيرية في قيام حركة فكرية ويمكن تقدير اهمية وجود هذه الارساليات اذا علمنا انها عملت على ادخال اللغة العربية والعلوم الحديثة ضمن مناهجها الدراسية المقررة. لهذا ازداد الاقبال على هذه المدارس ولاسيما العوائل الثرية في الموصل، فكان من تلاميذها داؤد الجلبي، صديق الدملوجي، امجد العمري، فاروق الدملوجي، رؤوف العطار، داؤد سليم. وكان من اسباب هذا الاقبال ايضا السياسة التعليمية التي تبناها الاتحاديون ومطاردتهم للغة بحيث لم تجد لها ملجأ غير المدارس التبشيرية اما الاكثرية من عامة الناس فقد لجأت الى ارسال ابنائها الى المدارس الدينية التقليدية التي حفظ فيها القرآن الكريم للعرب لغتهم في العصور الحالكة. على الرغم من بعض الجوانب السلبية للارساليات من حيث الارتباطات الاوروبية السياسية، الا انها كانت اداة مهمة من حيث خدمة التراث العربي وخاصة اللغوي منه والذي هو الواسطة الاساسية في التعبير الفكري العربي، ولعل اصدارهم مجلة "اكليل الورود" دليل على اهتمامهم باللغة العربية وادابها على الرغم من الصيغة الدينية للمجلة، وتعتبر هذه المجلة اول مجلة تصدر في الموصل بل وفي العراق كله.

صدر العدد الاول من مجلة "اكليل الورود" في كانون الثاني ١٩٠٢. وقد جاء في ترويستها انها "مجلة دينية ادبية علمية شهرية" اصحاب الامتياز الاباء الدومنيكان".

وقد بلغ عدد صفحاتها عند بداية صدورها (٢٠) صفحة، ولكنه كان يتغير في بعض الاحيان اذ يزداد ليتراوح بين (٢٤ – ٢٨) صفحة، علما بان الواجهتين الداخليتين للغلاف كانتا تستعملات لكتابة المقالات كذلك، وفي بعض الاحيان تستعمل الواجهة الاخيرة من الغلاف في تكملة المقال، اما بالنسبة لمقاس المجلة فهو (١٨ × ١١,٥سم).

صدرت مجلة "اكليل الورود" بثلاث لغات، هي العربية وصدر منها (٦٥٠) عدداً، والفرنسية وصدر منها (٤٠٠) عددا والكلدانية وصدر منها (٣٠٠) عدداً، وفي جميع هذه اللغات كانت الموضوعات متشابهة حيث كانت تترجم من لغة الى اخرى فقط.

اشتغل في تحرير المجلة عدد من المحررين، منه الاب عبد الاحد جرجي السرياني البغدادي، والاب هياسنت وهو فرنسي الاصل، والقس باسيل بشوري السرياني البغدادي، والاديب فرج الله كسبو، وتتسم كتابات هؤلاء جميعا بالطابع الديني الكنسي.

كرست مجلة "اكليل الورود" معظم مقالاتها لنشر المذهب الكاثوليكي على نطاق واسع، ومع هذا فقد اهتمت بالموضوعات الصحية والسياسية والاجتماعية والثقافية، فاخذت المجلة مثلا تهتم بتزويد القارئ بالمعلومات العامة المفيدة، فقد كتبت عن "السكر" و"التبغ" و"القهوة" وما شاكل ذلك.

وفي المانيا يوجد لك ٧٥٠٠ من اهاليها جريدة.

اتحفت المجلة قراءها باخبار الكثير من البلدان في العالم فعن اليابان نشرت مقالات تاريخية متسلسلة ولكنها ذات صيغة دينية منذ ايلول ١٩٠٤ وحتى كانون الاول ١٩٠٤. وكذلك "لمحة عن البلغار" تحدثت فيها عن بلغاريا والتشكيل البشري فيها، وعن الولايات المتحدة نشرت مقالا عن استصلاح الاراضي فيها.

نقلت مجلة "اكليل الورود" في بعض اعدادها اخبار النشاطات الصهيونية، مما يدل على امرين اما ان القائمين على المجلة والمسؤولين عنها لم يكونوا يملكون اي تصور عن الخطر الصهيوني، او انهم كانوا يهتمون اهتماما كبيرا بنشاط الحركة الصهيونية او الوطن القومي لليهود، فقد نشرت المجلة في عددها الصادر في شباط ١٩٠٨ خبرا بعنوان: "عدد اليهود في الارض كلها" جاء فيه.

"ورد في احد التقاويم الانكليزية ان عدد الاسرائيليين المشتتين في الارض كلها هوزهاء (١١) مليونا و(٨١) الفا منهم ٧٨٤٨٠٠٠ في اوروبا و١٥٥٦٠٠٠ في اميركا و٣٥٤٠٠٠ في افريقيا و٣٤٢٠٠٠ في آسيا و١٧٠٠٠ في استراليا.

وفي عددها الصادر في آب ١٩٠٩ نشرت مقالا بعنوان "المستعمرة الاسرائيلية العظمى المقصود انشاؤها في بلاد ما بين النهرين جاء فيه:

"روت الجرائد الاميركية ان اثنين من كبار المتولين الاسرائيليين وهما المسيو يعقوب شيف والمسيو اسرائيل زانكو بل، قد جمعا المبالغ اللازمة لانشاء مستعمرة يهودية في بلاد ما بين النهرين والكلام ان هذه المستعمرة ستكون اكبر مستعمرة يهودية شوهدت في العالم منذ تفريق اليهود، وقد عضدت مساعيها جميع الجمعيات الاسرائيلية في كل الاقطار.. وقد عزم المسيو شيف ان يسافر.

لقد مارست مجلة "اكليل الورود" وظيفتها الصحفية في العناية بمواد التوجيه والارشاد والتثقيف وبوسائل عديدة منها نشر القصص القصيرة ذات الطابع الانساني او نشر الاقوال الحكمية، ومثال ذلك النصائح التالية التي وجهتها الى القراء في عدد نيسان ١٩٠٥.

"لا تؤخر عمل اليوم الى الغد، لا تستخدم الغير في عمل تقدر ان تعمله انت، لا تشتر مالا ينفعك وان بيع رخيصا، لا تصرف فضتك قبل ان تكون قد حصلتها، كلما شعرت بالغضب فعد من الواحد الى المائة قبل ان تتكلم."

خصصت المجلة بعض صفحاتها لعرض ونقد الكتب الجديدة ومن ذلك ما نشرته في عدد شباط ١٩٠٧ عن صدور كتاب "الاجوبة الشافية في الصرف والنحو" لمؤلفه المعلم سليم حسون فقالت ان مجلة "المشرق" البيروتية نشرت عرضا لهذا الكتاب جاء فيه:

".. ان مؤلفه العالم قد جرى فيه على خطة مستحسنة في التبويب والترتيب وتحرير قواعد اللغة وتقريب مثالها على الطلبة، وقد وضعه على طريقة السؤال والجواب فأتى مجموع محادثات فيها التلميذ يسأل ويستفسر والمعلم يجاوب ويفسر، وعلق عليه كثيرا من الحواشي زيادة للافادة، وكشفا عن غوامض العربية واباحة باسرارها الدقيقة واخيرا اردفه بجدول على مثال القاموس تفسيرا لما ورد في الامثلة من شوارد الالفاظ، فلا عجب والحالة هذه ان وجدنا الكتاب الموما اليه وافيا سديد المنهد واضح الاداء سهل المأخذ جلي العبارة والمعنى.. فنشكر له همته في خدمة اللغة العربية.."

وعن احدى الروايات التاريخية قالت:

"قد انجز في هذه الايام طبع رواية تاريخية (استشهاد مار ثرسيسيوس) ذات ثلاثة فصول عربها المعلم سليم حسون وحلاها باناشيد ملائمة، فطالما ناقت القلوب الى روايات تمثيلية موضوعها ترويح النفوس وتهذيب الاخلاق وتعزيز اسباب الفضيلة.. فهذه الرواية احسن ماوضع في هذا الباب، وما انسب واطيب تمثيلها في المدارس".

واهتمت المجلة بالموضوعات الاجتماعية، ومنها تأكيد قيمة العمل واهميته وضرورته، ومن ذلك ما نشرته تحت عنوان "لا تستح من صناعتك وان بانت حقيرة". قالت: "الشرف معلق باهداب الشغل المحلل ومن احتسب الشغل عارا او نظر اليه بعين الاحتقار فقد تعدى وظلم.. انما العام وكل العار على من كان عبد البطالة المهلكة او من طلب الربح في طرق محظورة يترفع عن قصدها ذو الذمة الصادقة والشرف الحقيقي.. فانت شريف في شغلك يا محب الشغل ايا كانت صناعتك ان كانت التجارة او الفلاحة او الحدادة او الحياكة او الكتابة او غير ذلك، فلا تستح منها بل فليستح من ليس له شغل حلال.. ذكر عن الورد طنتودن احد اعاظم رجال حكومة انكلترا انه كان يفتخر باراء ابنه المحل الذي كانت فيه ابوه يتعاطى الحلاقة.. وجاء عن احد رؤساء جمهورية اميركة انه كان يفتخر بالصناعة التي كان يشتغل بها في شبوبيته وهي قص الحطب وكان يقول ان حبه للشغل وقناعته برزقه رقياه في مراقي النجاح والشرف. فهل استحى مار يوسف من التجارة، او لم يتعاطها يسوع في حياته؟..".

كما عنيت المجلة، منذ بداية صدورها، بتزويد القارئ باخبار علمية، فقد نشرت في عددها الصادر في تشرين الاول ١٩٠٧ خبرا يتعلق "بمذنب دانيال" الذي اصبح يشاهد منذ شهر آب ١٩٠٧ وقالت ان قطرة يساوي (٢٢) مرة قطر الارض، كما نشرت خبرا اخر حول قيام الكولونيل الانكليزي

١٩٠٠ صار لباريس ٢٧٠٩ جريدة و١٨٥ مجلة، والمدن الفرنسية الاخرى كان لها في السنة المذكورة ٢٩٧٢ جريدة، فصار حينئذ مجموع الجرائد والمجلات في فرنسا فقط ٦٨٦٦..

وقد علقت على هذه الصحف والمجلات بقولها: "لكن الكثير منها لا يفيد التقوى وتحسين الاخلاق.."

وفي عددها الصادر في آب ١٩٠٥ اشارت الى انه يوجد في الولايات المتحدة الاميريكية لكل ٣٤٠٠ من اهاليها جريدة،

"برنلي كامبل" بدورة حول الارض استغرقت اربعين يوما و(١٩) ساعة ونصف، ونشرت خبرا بعنوان "اوسع بناية في العالم" قالت فيه ان هذه البناية انشئت في نيويورك في الاونة الاخيرة وفيها عشرة الاف مسكن واشارت في عددها الصادر في تشرين الاول ١٩٠٩ وفي مقال مطول بعنوان "نظر في الاختراعات الحديثة" الى ان زماننا هو زمان الترقي في مرافئ الفنون، واجتناء اغرب اثمار الافكار العالية والقرائح السامية، وما تلك الاثمار الا الاختراعات المتواصلة التي لا يزال العالم يتلقاها من ارباب العلم والفهم ولاسيما المتفانين منهم في تذليل المصاعب الطبيعية هتك اسرارها الخفية..". ومن هذه الاختراعات : التلغراف، اللاسلكي، والاوتومبيل (السيارة) والمناطيد او المركبات الهوائية الحديثة.

اما عن النفط فقد اهتمت المجلة بنشر بعض الاحصائيات عن انتاجه واهميته، ففي عددها الصادر في كانون الاول ١٩٠٧ قالت بعنوان: "البترول: كم طنا من البترول كان يستخرج كل سنة منذ نصف قرن".

"في سنة ١٨٥٧ بلغت الكمية المستخرجة ٢٥٧ طنا، وبعد ذلك بعشر سنوات اي في ١٨٦٧ بلغ البترول المستخرج من العالم ٤٣٥٦٧٦ طنا.. وفي سنة ١٨٧٧ استخرج مقدار ١٧٨٨١١٩ طنا وفي ١٩٠٦ استخرج ٢٨٠٧٦٢٩٧ طنا، ولولا حوادث روسيا (ثورة ١٩٠٥).. لبلغ مجموع البتروك المستخرج في الارض ما يربو على ٣٠ الف الف طن".

ونشرت المجلة اخبارا طريفة عن العالم في بعض صفحاتها ومن ذلك خبرا يتعلق بـ "عدة جزائر ابتلعها البحر" قالت:

اعطى حاكم جزائر لوكي في اميركا اخبارا رسمية يقول فيها ان اعصارا مخيفا اتلف الارخبيل بالتمام، فغاب عدد كبير من الجزائر وتلك جزائر الانتيل التي اكتشفها كريستوف كولمبس في رحلته الاولى اي منذ ٤١٦ سنة ابتلعتها امواج الاوقيانوس في مدة يومين اي بين الحادي عشر والثالث عشر من ايلول الماضي".

كما تابعت المجلة كذلك اخبار الصحافة العالمية وذكرت احصائيات مفيدة وفريدة عنها ففي مقال بعنوان: "الصحف السيارة في فرنسا" جاء فيه: "في منتصف القرن التاسع عشر لم تكن باريس تنشر في الجرائد اليومية الا (٢٦) نشرة لها زهاء مائتي الف مشترك. وفي سنة بعد ايام الى لندن ليتباحث مع اللجنة الاسرائيلية الدولية في خصوص الوسائل الاجرائية ويقال ان اللجنة نالت من تركيا الاجازة بالاقامة في بلاد ما بين النهرين لكي تنجز مقاصدها دون مانع".

كان لمجلة "اكليل الورود" ابواب ثابتة، واهمها باب بعنوان "نصائح صحية" اوردت فيه مقالات تعالج بعض المسائل الصحية وتدعو الى وجوب الالتزام بالقواعد الصحية، ومن ذلك مقالات عن "الهواء" و"في الرياضة البدنية" و"الاستحمام بالماء البارد" و"الاشربة الكحولية" و"مضار البرد والرطوبة".

كما افردت المجلة لها بابا بعنوان "اخبار حالية" تذكر فيه بعض الاخبار السياسية والاقتصادية والعمرانية، ومن بعض فهارس المجلة نشير الى العناوين التالية:

الطواف حول الارض
معاشات (رواتب) بعض رؤساء الحكومات
مدفع فرنسي جديد
اول سلك تلغرافي بحري
اكبر ساعة في العالم
حريقان هائلان في باريس
الوفد العثماني في الفاتيكان
اهوال الزلازل في جنوبي ايطاليا

ولعل من ابرز ما نشرته المجلة ثلاثة اخبار يتعلق الاول بنشاط "وفد المبعوثين العثمانيين في باريس ولندن" والثاني عن "مثول غبطة بطريرك السريان امام جلالة السلطان" والثالث "مثول غبطة بطريرك الكلدان امام جلالة السلطان".

في عددها الصادر في ايلول ١٩٠٩ نشرت مجلة اكليل الورود خبر زيارة وفد المبعوثين العثمانيين الى باريس ولندن ومما قالته:

"ادب حزب التحكيم في البرلمان الفرنسوي مأدبة فاخرة لوفد النواب العثمانيين فانني نعوم باشا سفير الدولة العليا على النواب والشيوخ الفرنسيين وشكر لهم حسن ميلهم الى تركيا وقال: "ان شعار الثورة العثمانية كان الحرية والمساواة والاخاء" واعد ايضا في لندن وليمة شائقة لوفد النواب العثمانيين ورأسها المستر اسكويث وشرف فيها السر ادوارد غرابي نخب جلالة السلطان واعرب عن ميل انكلترا الى تركيا وقال: "ان انتصار الحكومة الجديدة على الصعوبات التي اعترضتها زاد في هذا الميل وان انكلترا ترغب في مساعدة تركيا من دون ان تتدخل في شؤونها" اما عن مقابلة بطريرك السريان السيد اغناطيوس رحماني للسلطان محمد الخماس فقد كتبت تقول ان المقابلة تمت في قصر "دولة بقجة" وان مرافقي البطريرك كانوا مطران دمشق، والنائبات البطريركيان.

في الاستانة والاسكندرية وكاتم اسرار البطريرك والخواجات رسام وشماس وكليان وحنا فتوحي وشبلي من وجهاء الطائفة السريانية الكاثوليكية المقيمين في الاستانة. واضافت بان البطريرك "فاه بخطاب عربي بليغ افصح فيه عن تهانيه وامانيه ومشاعر تعلقه المتين وعن اخلاص طائفته لعرش جلالته ولما كان جلالة السلطان يفهم اللغة العربية حق الفهم اعجب ببلاغة الخطاب وكرر الشكر لغبطته مرارا.." وفي عدد تشرين الاول ١٩٠٩ نشرت اكليل الورود نص الخطاب، ومما جاء فيه:

"ماطارت الى بلاد سورية وما بين النهرين وكردستان البشري المأثورة باستئصال دابر الاستبداد وتبوأ جلالتكم الشاهانية عرش آل عثمان المجيد الا وطربت لها فرحاً وحبورا نفوس جماعات عبيدكم السريان الكاثوليك العائشين فيها مع اخوانهم سائر عناصر الأمة العثمانية العزيزة على انهم عالمون بما اشتهر ثم به من حب المساواة بين الرعية والانتصار للحق والغيرة وشديد الرغبة في ائتلاف جميع الاجناس الذين تشملهم حكومتكم وتوحيد كلمتهم واجماع مساعيهم قاطبة.. وللتعاضد باخوانهم على توثيق روابط الاتحاد المواخاة..".

حقاً لقد كان تحمس المسيحيين العرب للحريات التي اطلقها الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ اشد من غيرهم وذلك لمعاناتهم التاريخية من عدم المساواة العثمانية. ولعل في ما اوردناه اعلاه، وفي زيارة البطريرك الكلداني مار يوسف عما نوئيل الثاني للاستانة اثر خلع عبد الحميد الثاني ما يفسر ذلك. اذ قصد هذا العاصمة العثمانية في ١٠ تموز ١٩٠٩ يرافقه وفد كبير يتألف من حنا زبوش والقس يوسف غنيمة والقس داؤد رمو.

وعبد الكريم باشا والقس توما، وانظم الى الوفد داؤد يوسف من مبعوث (نائب) الموصل، وقد التقى الوفد بالسلطان محمد الخامس والقى البطريرك كلمة طلب فيها وجوب، تعميم الامن والعدالة وانبعاث اشعة الحرية في شمس المشروطية (الدستور) الى جميع الاصقاع سيما البعيدة ومنها الموصل "وقد اجابه السلطان" بان جميع التبعة العثمانية هم في مركز واحد.. بغض النظر عن المذهب والدين "وان جميعهم يستفيدون من المشروطية". وطلب تبليغ سلامه الى جميع الكلدان في الموصل.

ان مجلة اكليل الورود، وان "كانت غايتها الاولى تهذيب الاخلاق بالطرق الدينية، فقد نشر فيها اصحابها – كما يقول رزوق عيسى وهو احد مؤرخي الصحافة العراقية – طائفة صالحة من المقالات الادبية والاجتماعية واثبتوا على اعمدتها اخبارا متنوعة". كما اعتنت بنشر اخبار المجتمع الموصلي.

ظلت مجلة "اكليل الورود" تصدر بانتظام نحو ستة اعوام حتى بعد اعلان الدستور العثماني في ٢٣ تموز ١٩٠٨، وكثرت الصحف والمجلات في العراق، فتوقفت عن الصدور من تلقاء نفسها لتفسح مجال الخدمة الى غيرها من الصحف والمجلات. وقد صدر آخر عدد منها في كانون الاول سنة ١٩٠٩.

الصحافة العراقية ومراحل التجديد والتطوير

د. قيس الياسري
استاذ باحث في تاريخ الصحافة

ظلت (الزوراء) وشقيقتاها (الموصل 1885) و(البصرة 1889) حبيسة داخل دوائر الحكومة والفئة الملحقة بها ثقافة وانتماء، ولم تكن صحافة جماهيرية في مضمونها، وفي انتشارها، فمن حيث الانتشار كانت تطبع في بعض الفترات دون الالف نسخة.. اما من حيث المضمون فلم تكن صحافتنا الاولى سوى نشرات رسمية مهمتها ترويج اوامر وتوجيهات السلطة وزيادة الهيمنة على تلك النخبة من رجال الحكم والفئة المتعلمة من وجهاء المدن التي بدأت اخبار العالم تتسرب اليها من خلال بعض الصحف الصادرة في مصر ولبنان والمهجر فضلا عن ان الصحف العراقية الاولى كانت مقيدة بسلاسل القوانين والاوامر السرية والتوجيهات الطارئة التي منعتها من نشر او معالجة اي قضية جادة.

وحتى بعد الانقلاب الذي اعاد العمل بالدستور العثماني عام ١٩٠٨ لم يكن في العراق سوى الصحف الثلاث التي المحنا لها، ولم يكن حظ الاقطار العربية الاخرى، باستثناء مصر ولبنان، بافضل من ذلك لا في عدد الصحف ولا في مضمونها ولكن من هبوب رياح التغيير التي ذهبت بالسلطان عبد الحميد الثاني تفتحت روح جديدة، حيث يمكن اعتبار الانقلاب اول عوامل التجديد على جميع الاصعدة بالرغم مما آل اليه فيما بعد من ارهاب وبطش.

صحيح ان الانقلاب لم يهدم السجن الكبير الذي حشرت فيه مصائر شعوب عديدة ضمتها الامبراطورية العثمانية الا انه بالتاكيد فتح النافذة. وبالنسبة للعراقيين اتاح الانقلاب لهم للمرة الاولى منذ سقوط الدولة العربية العباسية ان يتطلعوا الى تحقيق الذات مستخدمين وسائلهم الاتصالية المتفاوتة الاثر وهي الشعر والصحافة والمنبر.

ومما لا شك انه ليس مصادفة ان تصدر في بغداد اول جريدة حزبية بعد مرور اسبوعين على الانقلاب وهي جريدة "بغداد" وان تصدر مجلة باسم "العلم" واخرى باسم لغة العرب" وجريدة باسم "بين النهرين" وكلها رموز وطنية وقومية وتجديدية، وانه ليس من باب المصادفة ايضا ان يصل عدد الصحف والمجلات خلال فترة السنوات السبع التي اعقبت الانقلاب الى (٨٣) جريدة ومجلة معظمها صدر خلال السنتين التاليتين للانقلاب، وان تتنوع هذه المجموعة الكبيرة من المطبوعات فتتوزع على مجالات السياسة والادب والعلوم والشؤون الدينية والفكاهة وفي ظل قوانين اقل صرامة.

وقد طرحت على صفحات الجرائد والمجلات افكار تقترب من روح العصر، إلا ان الحرية الشحيحة التي تمتعت بها الصحافة العراقية لفترة وجيزة سرعان ما خنقتها قبضة الاتحاديين بعد ان تعزز سلطانهم وكشفوا عن نواياهم المعادية للعرب بشكل خاص فكان مصير معظم تلك الصحف التعطيل والالغاء ومصير بعض اصحابها ومحرريها السجن والنفي حتى لم يبق منها قبيل الحرب الكونية سوى صحف الولايات الثلاث الرسمية.

لقد جاء التحول الكبير بالنسبة للصحافة العراقية فاللمرة الاولى تظهر صحافة الاحزاب المعارضة التي ملأت الشارع العراقي دويا، وعبأت فئات واسعة من الشعب نحو اهداف الحركة الوطنية في تلك الفترة وبشكل خاص صحافة الحزب الوطني والاخاء والنهضة العراقية وللمرة الاولى تصبح الجريدة منبراً للاراء الجريئة في السياسة والاجتماع والتربية، وتتحول مقالات الصحف وقصائد الشعراء المنشورة في هذه الصحف الى قوة تحريض دافعة ضد المعاهدات مع بريطانيا ومن اجل الاستقلال الوطني والحريات الديمقراطية ، والتنظيم العمالي النقابي والدفاع من اجل القضايا القومية وفي طليعتها قضية فلسطين وخطر الاطماع الصهيونية.

وكانت الصحافة اداة تحريض ايضا في معارك الحجاب والسفور وحق المرأة في التعليم وغيرها من الجدل الاجتماعي الواسع الذي شهدته تلك السنوات.

وبرزت في هذا العهد صحف ومجلات اخرى ليست حزبية وكان لها تأثيرها الكبير في الساحة السياسية والثقافية مثل (الاستقلال والرافدان ولغة العرب والحديث والعالم العربي والعراق و ا لصحيفة والكرخ والمؤرخ والامل والناشئة الجديدة والاهالي وحبزبوز.. الخ) وان كان البعض من هذه الصحف لم يعثر طويلا او صدر في اواخر فترة هذه الدراسة.

وقد شهدت الصحافة العراقية في هذه المرحلة تحسنا ملحوظاً لا من ناحية المضمون حسب بل من حيث الاخراج واسلوب التحرير والطباعة والخدمات التي تقدمها للقارئ خاصة في مجال الاعلان وظهرت الصورة الصحفية والمانشيت والالوان والمقابلة الصحفية وتوسعت مصادر الاخبار حيث اشترك بعضها في نشرتي (رويتر) البريطانية ووكالة الانباء الالمانية.

وظهرت في هذه المرحلة بشكل واسع المقالات المترجمة عن اشهر الصحف العالمية وسلاسل الكتب المترجمة التي زادت حلقات البعض منها على المائتي حلقة والتي عالج معظمها العراق وقضاياه.

وقد اصبحت الصحافة الحزبية بشكل خاص ميدانا لاقلام النخبة المثقفة في البلد والتي مارست الكتابة احيانا كجزء من مسؤوليتها الحزبية، وبذلك دخل للصحافة دم جديد ما كانت تعرفه في العهد العثماني فبرزت اسماء لحزبيين امثال ياسين الهاشمي وكامل الجادرجي وعلي جودت الايوبي ومزاحم الباجه جي والسويدي وعبد الاله حافظ وعلي محمود الشيخ علي ومحمود رامز بالاضافة الى حزبيين اخرين اكثر اهمية في صلتهم بالصحافة ، امثال فهمي المدرس وروفائيل بطي ومحمد باقر الشبيبي.

وعلى الرغم من رجعية قوانين للصحافة العراقية في مطلع العشرينات، وبالتحديد خلال فترة الانتداب (١٩٢١-١٩٣٢)، فقد شهدت هذه السنوات حقبة من اهم مراحل تطور

زوراء
(نومرو) (ديمه الاول) (سنه) ١٢٨٦
(حزيران) ٣ (سنه) ١٢٨٥ (برنجي) سنه
(اشبو غزته داخليه وخارجه حوادثي وهر درلو باسائي شامل اولهرق هفته ده دفعه صالي كونلري چيقار پر سنه لكي (٧٠) والئي آيلغي (٤٠) غروشه وبهر)
(نصفي سي (٦٠) باريه در داخل ولايتدن ماعدا محارجيون بوغزته ايجون بوسنه اجرق ضم اولونور سنه لكي و ياخود التي آيلغي الق ايجون بازاقي استانبولده حالده.)
(مركز ولايت مطبعه سنده مراجعت اولنق لازمكلور)
(صالي)
(مقدمه)
نوع انسان من عنداً نال اولديغي قوة نطقيه سي شرفيه سائر هم جنسلرندن تفدر ممتاز ايمسه نوعي ايجاد ، ثابيت طبيعيه سنڭ حسن استعمالي اله قوت وقدرت انسانيه سنڭ تعلق ايده بيلمكي احوالدن عبارتدر ايشته نوعي هم نوعي بيننده بولندرمق مجبوريتنده بولنديغي وسرفراز اولونور
اجنبي انسانك استعداد وقابليت طبيعيه سيله برابر هر خصوصده ديكر انسانلرك اكتساب ايتدكلري معلومات دخي بر شيء كندي باشنه تحصيله مقتدر اولهيچ بر شيء كندي باشنه تحصيله مقتدر اولهسبوب بارمديه تحصيله محتاج اولديغي كبي نوع انسان ثابيت طبيعيه سي ايله اولمقله ابعيون اولديغي كبي بر بارمديه محتاجدركه انكا (تجربه) دينلور وبالك بوكونكي سائل نظر دقت واعتنايه نادقيق وموازنه اولونور، ايسه تجربه ديدلان شيئ ثابيت انسانيه ني ايله اولدقجه ده اولان مدخل ودرجه ثابيراتي حقيقه ولايقيله آكلاشيلور
خولاصه كلامده استعداد وقابليت انسانيه مك اقتضي تجربه ايله اتصال وانكشاف ايده جكي اكلاشيلديغي وبوجهتله وتفاريق تجربه يبننده مصرف اعتكده اولنمق اولان اوروپا اهاليسنه يالقيلور ايسه كتجاربي قوت وقدرت انسانيه مك تعلق ايده بيله جكي خصوصاتده درجه موفق اولدقلاري تسليم قلنور بخار قوتيله دوكرد ، سفاين وفره ، تيلغراف سريع وحركت ايندرمك قوه القرتيه ايله يرتابه طرقنده دنيانك بر اوجندن ديكر اوجيه خبابره ، اتك فاز قوتيله جوسعايه طيران ايتك وهر برعملياتي سهولتله اجرا ايمك ايجون طاوريشمه لزيامق كاملا ثابيت طبيعيه مك نجابت هديه ايله اولدقلرندن نشأت ايلشدر
اوروپالنك اوزون زمان جوارلرنده نشأت ايلشدر
بوندن فكره ، بالفاظده جونكه اهالي "مرغومه تجربه يبننده ، اولدقر وقت صرف ايده مدكلري جهتله نتيجات واقعه لرنده تبكرلري درجه سنه واصل اولهماشلر ايسه ده ، بنه ممكن مرتبه ايتدكلري تجارب سايه سنده ، تجارت وصنايع مشوهه طرز بشاشيني كشف ايدرك اولوجه يه بالبولدرك حوادث روزمره ، دينى تحصيلده ، صعوبت سوقيه طور سون ثابيت طبيعيه سي ايله اولوجه سوده عرعز بارز بر چوق صنف ومشكلاته كوزيكه اولان رغبه ورواجنه كچه كلري كوزيله بوندن عكره خواهلايلك وهابيدده ، اولان خطه بافيلور ايسه بونلرلدن مدنيتي يله تجربه ايتماسي اولدقرينه مبني عالمده هيچ بر راحت ورفاه كوزيله حوادث ضروريه

زوراء
موصل
بصره

الصحافة والتعسف في تفسيرها وخضوع الصحفيين الى نزوات واحكام خارج نطاق واحكام هذه القوانين، مثل ذيل قانون دعاوى العشائر والتضييق على الصحافة من قبل دائرة المندوب السامي، والسلطة التنفيذية بمختلف مراتبها، الا ان هذه الفترة تظل رغم ذلك افضل من فترات لاحقة مرت بها الصحافة العراقية في عهد الاستقلال.

وقد ساعد على توفر هذا البصيص من حرية الصحافة استقطاب المعارضة لشخصيات كبيرة النفوذ مثل (الهاشمي وابو التمن ورشيد عالي الكيلاني ومولود مخلص وناجي شوكت) ثم كسر حاجز الخوف من السلطة لدى العراقيين بفعل ثورة العشرين التحررية وماتركته من نزعة تمردية لدى الرأي العام، ثم تطور التعليم والحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية بشكل عام، وفضلا على كل ذلك فان النظام كان في دور التكوين وكان ان اصبح موضوع حرية الصحافة مطلب الاحزاب الوطنية والمجلس النيابي والشارع العراقي.

الصحافة العراقية والتجديد في اللغة والاسلوب

من بعض سمات النصف الثاني من القرن الماضي، الذي شهد ميلاد الصحافة العراقية، بداية انبعاث الافكار القومية، واحياء حركة التجديد العربي في الثقافة واللغة التي مرت في سبات طويل منذ سقوط الدولة العباسية وخضوع العراق الى هيمنة قوى اجنبية عملت على اضعاف هذه اللغة. فقد انزوى الابداع العربي وتدهورت اللغة واختفت مدارس التجديد في الفكر والاجتهاد والادب والتي بلغت ذروتها في عهد الخليفة المأمون.

ومع ظهور مايسمى بعضر القوميات في اوروبا في مطلع القرن الماضي مست هذه اليقظة بعض المفكرين العرب والمسلمين من رواد عصر النهضة العربية، امثال رفاعة الطهطاوي واحمد فارس الشدياق وجمال الدين الافغاني ومحمد عبدة وعبد الرحمن الكواكبي وناصيف البازجي وبطرس البستاني.. الخ، غير ان هذه الحركة الانبعاثية لم تشمل العراق في تلك المرحلة لانه كان اكثر عزلة عن العالم الخارجي من بلاد الشام ومصر والمغرب العربي.

ففي الوقت الذي كانت فيه الجمعيات السرية العربية والمفكرين والمصلحون والصحفيون يتبارون في سبيل احياء هذه اللغة والارتقاء بها في مصر ولبنان والمهجر كانت اللغة السائدة في المدارس ودواوين الحكومة في العراق هي اللغة التركية. اما اللغة العربية الفصيحة فرغم انها كانت لغة المنبر الديني، الا انها كانت في دور ضعف كبير ولم تكن لغة عامة الشعب سوى ادنى من ذلك بكثير، فكانت لغة الشارع والبيت في المدينة مزيجا من العامية والالفاظ الاجنبية الدخيلة.

وحين ظهرت "الزوراء" لم تكن لغتها بعيدة عن هذه الرطانة، فكانت ركيكة الى الحد الذي لا نستطيع اليوم فهم بعض كلماتها ومصطلحاتها رغم انها مكتوبة باللغة العربية، وقد تناوب على تحريرها كتاب وادباء اصبحوا فيما بعد اعلاما في اللغة والصحافة امثال الزهاوي وفهمي المدرس والرصافي.

ان اللغة، شأنها شأن الثقافة، هي نتاج مجتمع لذلك انعكست على صفحات "الزوراء" و"الموصل" و"البصرة" سمات ولغة وثقافة المجتمع الذي نبتت فيه وهي سمات تتصل بالتدهور الثقافي اكثر مما تتصل بالانبعاث والتجديد.

ويمكن القول، باختصار ان لغة الصحافة في هذا العهد كانت متخمة بالتحريف والتصحيف، والقلب ، والابدال والنحت بالاضافة الى شيوع الكلمات غير العربية، ومما عزز من استفحال هذه الظاهرة ايضا هو ان اللغة العربية كانت تفاجا كل يوم باختراع جديد يحمل اسما اجنبيا او بضاعة غريبة او صناعة حديثة ما كانت معروفة في السابق.

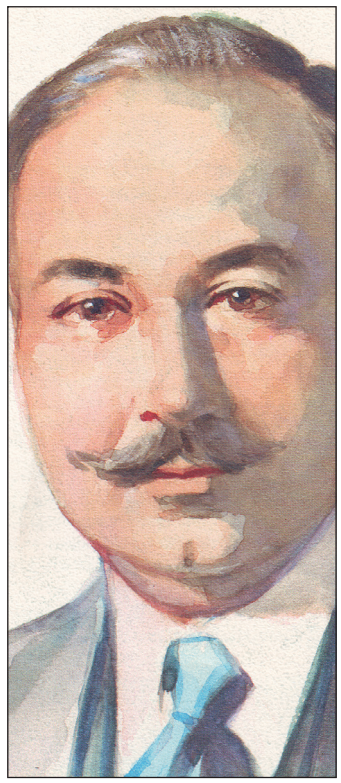
فهمي المدرس

محمد رضا الشبيبي

يبدو ان الحملة التي شنتها (لغة العرب) في مجال تنقية اللغة العربية من الالفاظ العامية سرعان ما وجدت صداها على صفحات الجرائد والمجلات في تلك المرحلة المبكرة. ويلخص لنا رزوق عيسى في مقال ثان بعنوان "اتجوز الكتابة بالعامية" بعض اراء الصحافة العراقية حول الموضوع فيقول: "لقد قامت اغلب الجرائد والمجلات، وكتبت الفصول الطوال وارصدت عواميد عديدة في صفحاتها، لتتلافى بها الخطر المحدق باللغة العربية من كل حدب وصوب، وقد نطقت كل صحيفة من هذه الصحف بما خطر لها وعن، واوجبت التمسك به حسب ظنهان فبعضها قالت يلزم ان تستأصل شأفة الكلمة العامية والدخيلة

"لغة العرب" ودورها في تنقية اللغة

واذا كانت هذه هي سمات لغة الصحافة قبل الاعلان الدستوري فان الفترة القصيرة التي اعقبت ذلك مهدت لتغييرات كثيرة في هذا المجال وذلك بفضل اتساع دائرة مشاركة النخبة المتعلمة بالحياة السياسية والثقافية التي من ابز معالمها ظهور عشرات الجرائد والمجلات في العراق في تلك الفترة. وقد ساعد ذلك في تطور اللغة واسلوب الكتابة ولو بشكل بطيء وتجلى بشكل خاص على صفحات مجلة "لغة العرب" التي تعتبر بحق رائدة النهضة في هذا المجال، وقد خصصت جميع اعدادها لخدمة الادب العربي واللغة وتصويب ما يقع فيه الكتاب والصحفيون من اخطاء لغوية.

ومنذ العدد الاول وضعت "لغة العرب" لنفسها خطة طموح في هذا المجال تتلخص في تعريف القارئ العراقي بما يدور في العالم وما يكتب عن العراق بشكل خاص، وتعريف العراق للعالم والعناية باللغة وما يتصل بها وممارسة النقد الادبي لكل نتاج جديد ونشر الرواية.

بالاضافة الى متابعة اخبار العراق ومنطقة الجزيرة والخليج العربي.

وبرزت على صفحاتها وصفحات جرائد ومجلات اخرى في هذه المرحلة اسماء كان لها شأن خطير في عالم الثقافة والصحافة العراقية، مثل انستاس ماري الكرملي واحمد عزت الاعظمي وعبد اللطيف ثنيان وداود صليوه وابراهيم صالح شكر ورزوق عيسى والشبيبيان محمد رضا ومحمد باقر وعلي الشرقي وابراهيم حلمي العمر وكاظم الدجيلي.. الخ، لكن لغة الصحافة حتى في هذا العهد استمرت تحمل الكثير من عيوب اللغة والاسلوب، ويشير رزوق عيسى في مقالة مهمة على صفحات طغة العرب، بعد مرور اكثر من ثلاث سنوات على الانقلاب العثماني الى الرطانة التي كانت تسود لغة التخاطب بين الناس وتسربها الى الصحافة فيقول: ومما يسوءني ذكره ان بعض هذه الالفاظ "اي الالفاظ العامية" قد تسربت الى بعض الجرائد والمجلات العراقية فاضرت بسمعتها.

ويبدو ان الحملة التي شنتها (لغة العرب) في مجال تنقية اللغة العربية من الالفاظ العامية سرعان ما وجدت صداها على صفحات الجرائد والمجلات في تلك المرحلة المبكرة. ويلخص لنا رزوق عيسى في مقال ثان بعنوان "اتجوز الكتابة بالعامية" بعض اراء الصحافة العراقية حول الموضوع فيقول: "لقد قامت اغلب الجرائد والمجلات، وكتبت الفصول الطوال وارصدت عواميد عديدة في صفحاتها، لتتلافى بها الخطر المحدق باللغة العربية من كل حدب وصوب، وقد نطقت كل صحيفة من هذه الصحف بما خطر لها وعن، واوجبت التمسك به حسب ظنهان فبعضها قالت يلزم ان تستأصل شأفة الكلمة العامية والدخيلة، وتستعمل عوضها كلمات لغوية فصيحة.

وقالت غيرها انه من اللازم للادب ادخال الاصلاحات العلمية الحديثة العهد بالوضع في العربية لافتقارها اليها، لانه لايوجد اليوم في اللغة الفصحى كلمات تقوم مقامها، لاسيما في هذا العصر، عصر الاكتشافات والاختراعات وركوب اجنحة الخيال من الافكار وقالت غيرها: اذا اراد علماء العربية اليوم وضع الفاظ حديثة ففي وسعهم ان يشتقوا كلمات مأنوسة الوضع يتخذونها من نفس لغتنا ويصطلحون اصطلاحات علمية لم يسبقهم اليها القدماء لخلو عصرهم من وجودها. فاذا قعدوا – لاسمح الله – عن اتمام هذا الغرض المقدس والواجب اللذي لابد منه، فعار عليهم من لغتنا الشريفة التي تحسبها اوسع اللغات وافصحها. وقالت اخرى يجب ان تجمع الكلمات العامية وتدون في معاجم اللغة وكتبها وتحسب كجزء منها. ذلك في نظري – الكلام هنا لرزوق عيسى – وفي نظر غيري ايضا مما يقضي على فصيح اللغة بالتلاشي، ويشوه رونقها. ويعدم جمالها."

والواقع ان الصحافة العربية سبق ان مرت بمثل هذه الظاهرة سواء في مصر او بلاد الشام ولكن هذه الظاهرة تجاوزتها الصحافة العربية في مصر او بلاد الشام ولكن هذه الظاهرة تجاوزتها الصحافة العربية منذ اواخر القرن الماضي ويشير الى ذلك انيس المقدسي وهو يتحدث عن الادب العربي في القرن التاسع عشر فيقول: "ما ان اشرق فجر النهضة الحديثة في القرن التاسع عشر حتى كانت الكتابة العربية ماتزال ترسف في قيدين ثقيلين احدهما الصناعة اللفظية المتكلفة، والثاني الركاكة العامية، وغالبا ما كانا يجتمعان في اسلوب واحد" وهكذا نشأت الصحافة العربية في مطلع عهدها هزيلة ضعيفة مع ميل ظاهر الى تسجيع العبارات.

ويشير الى مثل ذلك رائد في تاريخ الصحافة العربية هو فيليب طرزي فيذكر: ".. كانت صحافتنا في بداية عهدها ضعيفة الافكار ركيكة التعابير سقيمة الطبع خالية من تبويب ابحاثها، غير ان تلك الالفاظ الركيكة والتعبيرات السقيمة التي كان يستعملها ارباب الجرائد اولا في كتاباتهم قد بطلت شيئا فشيئا باختمار الصحافة وارتقاء الافكار".

واذا استثنينا فترة الاحتلال البريطاني

الرصافي

الزهاوي

التي لم تكن لها ملامح مميزة، فيما عدا الملامح السياسية وشيوع بعض المصطلحات الانكليزية في الصحافة، فان فترة العشرينات قد حسنت كثيرا في لغة واسلوب الصحافة بفضل الظروف السياسية والاجتماعية الجديدة وبروز صحفيين وكتاب كبار، في مقدمتهم فهمي المدرس الذي تحولت المقالة على يديه الى ادب رفيع، وابراهيم صالح شكر وحسن غصيبة ومحمد باقر الشبيبي وسلمان الشيخ داود وعلي محمود الشيخ علي ومحمود رامز ثم محمود احمد السيد وحسين الرحال ورفائيل بطي ومصطفى علي وعوني بكر صدقي وسليم فتاح ثم جماعة الاهالي فيما بعد.. الخ.

وقد ساعد على تخليص اللغة من المفردات الغريبة في هذه المرحلة وتحسين اسلوب الكتابة طغيان المقالة السياسية على الصحافة وما تتطلبه الكتابة في هذا المجال من مباشرة في الاسلوب وتبسيط للافكار واللغة. وكادت المفردات العامية ان تختفي من الصحافة الادبية والسياسية في هذه الفترة باستثناء "صحافة الهزل" وبرزت مفردات ومصطلحات مثل "الديمقراطية" و"رأس المال" و"الوحدة العربية" و"الاتحاد العربي" و"الخطر الصهيوني" وكان استخدام بعض هذه المفاهيم ليس من باب التعريف بها بل توظيفها في مقالات تطالب بالاصلاح السياسي والاجتماعي. وبالاضافة الى ذلك، ظهر العديد من المقالات التي كتبها محمود احمد السيد وحسين الرحال وعوني بكر صدقي ومصطفى علي التي دعت الى الاسلوب العلمي والاسلوب الصحفي الحديث في الكتابة. وكتب معروف الرصافي في جريدته "الامل" متصديا للاتجاهات الخيالية المتطرفة وتلك المسرفة في العواطف.

الصحافة والتغيير الثقافي

لقد اتاح الانقلاب العثماني للصحافة العراقية ان تناقش للمرة الاولى قضايا سياسية واجتماعية ودينية لم تكن متاحة لها قبل ذلك. فعلى الرغم من الروح التجددية التي اتسم بها المقال الافتتاحي لاول عدد من جريدة "الزوراء" والذي حبذ العلم وبشر بالحضارة الجديدة واكد على اهمية الصحافة بالذات في حياة الامم الا ان "الزوراء" وشقيقتيها "الموصل" و"البصرة" لم تعالج موضوعا حيويا يدعو الى التجديد، او يثير جدلا على غرار ما كانت تفعله الصحافة المصرية واللبنانية المعاصرة لها. ولكن الانقلاب العثماني وما اطلقه من امان ورغبات مكبوتة وتطلعات مشروعة اتاح الفرصة لدعاة التجديد، وكانت الصحف هي المنابر التي تعهدت بذلك.

لقد كانت نخبة محدودة جداً من العراقيين على صلة بيواكير النهضة والتحديث التي حملتها الصحف العربية التي كانت تصل الى بغداد والموصل والبصرة بشكل خاص، وكانت بعض الاسماء العراقية قد عرفت طريق النشر في مجلات وصحف مثل "الجوانب" و"الجنان" و"المقتبس" وكانت اسماء مثل محمود شكري الالوسي والكرملي والزهاوي والرصافي وابراهيم حلمي العمر ورزوق عيسى معروفة الى حد معين كواجهات للادب العراقي، الا ان قيمة الصحافة في الحياة الثقافية لم تصل الى ما وصلت اليه بعد الانقلاب العثماني حيث اصبح من المألوف ان يصفها عام ١٩١٢ احد شباب تلك الفترة، وهو محمد باقر الشبيبي فيقول:

صوت الشعوب وصيتها الصحف

قد ساعد على تخليص اللغة من المفردات الغريبة في هذه المرحلة وتحسين اسلوب الكتابة طغيان المقالة السياسية على الصحافة وما تتطلبه الكتابة في هذا المجال من مباشرة في الاسلوب وتبسيط للافكار واللغة. وكادت المفردات العامية ان تختفي من الصحافة الادبية والسياسية في هذه الفترة باستثناء "صحافة الهزل" وبرزت مفردات ومصطلحات مثل "الديمقراطية" و"رأس المال" و"الوحدة العربية" و"الاتحاد العربي" و"الخطر الصهيوني"

تجري بهم للمجد ان وقفوا

ولو اخذنا موضوع "تحرير المرأة" مثلا لوجدنا ان ما كتبه قاسم امين بهذا الصدد لم يكن بعيدا عن اذهان العراقيين، والا لما تجرأ الزهاوي، وهو ابن مفتي بغداد "ان ينشر مقالته المتطرفة في مجلة "المؤيد" المصرية عام ١٩١٠ دفاعا عن حقوق المرأة ولما تمكن محمد باقر الشبيبي وهو من عائلة دينية في النجف ان يدعو المرأة للتعليم منذ عام ١٩١٣ فيقول: ان التعليم رابطة طبيعية اذا اهملناها اهملنا انفسنا واذا اتممناها تكون قد اخذنا لها قوة ندفع بها كيد من يريد كيدنا.. لا ينبغي ان نلقي سمعا للذين يقولون "ان بقاء الاولاد وعلى الاخص البنات على هذه الحالة هو خير وابقى". لا ينبغي ان نلتفت اليه بل ينبغي ان نلقي سمعا الى من يقول ان بقاء البنات على ماهن عليه الان عثرة في سبيل تقدمهن وارتقائهن.. لماذا ينقم البسطاء السذج على البنات المتهذبات ولأي شيء ينكرون عليهن التعليم واكثر ما حوته الاماكن والاقطار من البنات عالمات ومتعلمات وليس بيننا الا بعض الاقطار الفاسدة العديمة التربية، الساقطة الاخلاق، المنحطة الطباع التي نبذت التعليم ظاهريا وحرمته على البنات بتاتا.

ان هذه الصرخة الغاضبة تأتي من المدينة التي كانت قبل سنوات معدودة تحرم على الابناء، وليس على البنات فقط، دخول المدارس الحديثة وتأتي بعد مرور اقل من سنتين على الضجة الكبرى التي اقيمت ضد الزهاوي بسبب مقالته السالفة الذكر.

لقد كان محمد باقر الشبيبي بالذات من الرواد الاوائل الذين وقفوا بوجه العادات البالية التي تحول دون تحقيق اي نهضة حقيقية. وقد كتب قبل ثمانية شهور من نشر مقاله عن تعليم المرأة، مقالة اخرى دعا فيها الى التجديد واشار الى مضار بعض العادات فقال: "سرى هذا الداء العضال في محيطنا حتى صار عقبة كؤوداً في طريق رقينا المادي والادبي. عقبة في طريق نهضتنا الاجتماعية عقبة في ترويج الاصلاح، عقبة في طريق كل شيء تصلح به حالتنا الحاضرة".

وقد حفلت صحف ودوريات هذا العهد بالعديد من المقالات والقصائد التي تعبر او تدعو الى روح التجديد، وانعكس ذلك بشكل خاص في المجال السياسي على صحف "الرقيب" و"صدى بابل" و"بين النهرين" و"النهضة" وفي مجال الاجتماع والادب من خلال مجلتي "لغة العرب" و"العلم" التي سعت الى التقريب بين الدين والعلم واعطاء طابع عصري للدين، وكان صاحب مجلة "العلم" هبة الدين الحسيني رجل الدين والوزير في العهد الفيصلي من الداعين الى هذا التجديد، ودعا هو شخصيا الى نبذ بعض العادات الدينية الداخلية ومنها رسالته في "تحريم نقل الجنائز" التي تركت انقساما خطيرا في الرأي العام بين مؤيديه ومعارضيه.

والظاهرة الملفتة للنظر لمن يتابع ما يبقى لدينا محفوظاً من صحف تلك الفترة يشعر وكأن العراقيين اكتشفوا بلادهم للتو فانتشرت على صفحات الجرائد والمجلات موضوعات كثيرة متعلقة بتاريخ المدن العراقية والعشائر والاسر وانسابها والاثار والحضارات الاسلامية والقديمة واللغة الفصيحة واللهجات العامية وجغرافية العراق ومناخه وعادات وتقاليد وصناعات وحرف سكانه في المدن والارياف ودخلت مفردات جديدة ما كانت معروفة او ممنوع تداولها في الصحف التي سبقت الانقلاب العثماني، صحيح ان بعض تلك المفردات وردت في كتابات رواد النهضة العربية الا انها لم تكن متداولة في صحافة العراق وفي مجال تجديد الادب، رعت الصحافة الشعر الحديث الذي عبر الشعراء من خلاله عن دهشتهم واعجابهم بمنجزات العصر فظهرت قصائد عن القطار والباخرة والطائرة وانتشرت القصائد التي تدعو الى الاصلاح الاجتماعي والسياسي، وتضاءلت اغراض الشعر القديمة "كالمديح" و"الرثاء" و"الاخوانيات" وظهر لأول مرة في الصحافة نوعان من الادب هما الرواية المترجمة والنقد الادبي، واهتمت مجلتا "لغة العرب" و"العلم" منذ تأسيسهما بالنقد وافردتا بابا لهذا الغرض بعنوان "التقريض – والمشارفة – والانتقاد". في لغة العرب و"التقريض والانتقاد" في مجلة العلم، وتركنا لنا ثروة قيمة في مجال النقد والتعريف بالكتب والمجلات والصحف التي صدرت في ذلك الوقت حيث تعرفنا على نظرة نقاد ذلك العهد الى لغة واسلوب ومحتوى النصوص الاولى وكونت لنا تلك المعالجات بواكير منهج عصري في النقد الادبي.

وقد دخلت الصحافة حياة الفئة المتعلمة في تلك الفترة باعتبارها صحافة شعب وليست صحافة حكومة. ومن مظاهر هذا الاهتمام رسائل القراء في صحف تلك الفترة واتساع عدد الصحف والمشاركين فيها. ومن الامور الملفتة للنظر تأسيس جمعية فريدة من نوعها في مدينة النجف عام ١٩١٢ هي جمعية "اخوان الصفا" التي تتلخص مهمتها في شراء الصحف وتوزيعها مجانا على المواطنين.

وتابعت الصحافة الحياة اليومية للناس فنشرت مواد عن وضع التعليم، عام ١٩١٢ وعرفت القارئ العراقي بما كان يدور في العالم من احداث، وترجمت بعض ما كتبه علماء الاستشراق عن اللغة العربية واللهجات العامية وتاريخ العراق، وفي المجال السياسي ظهر على صفحات جرائد تلك الفترة العديد من الموضوعات التي تطالب باللامركزية واحلال اللغة العربية في المدارس ودواوين الدولة وطالبت بحقوق العرب المهدورة في ظل سياسة التتريك التي اخذت تتصاعد قبيل الحرب الكونية بشكل خاص حيث شكلت تلك الكتابات جذور الانبعاث الجديد المفكر القومي العربي في العراق.

صحيح ان بعض المفكرين العرب والمسلمين نادرا منذ القرن الماضي بما هو اكثر علمية وتطرفا من افكار الصحافة العراقية هذه، حيث يمكن العثور على اسماء حاولت الاقتراب من الخصوصية العربية المتمثلة في تاريخها ولغتها، ومن هذه الاسماء بطرس البستاني الذي ابصر دور اللغة في تجديد الهوية القومية فقام بتاليف عدة كتب في النحو العربي ونشر اول قاموس عربي عصري واول موسوعة عربية معاصرة وفتح اول مدرسة عربية عصرية "المدرسة الوطنية" واسس اول مجمع ادبي عربي "مجمع التهذيب"، كما نادى في محاضرة له عام ١٨٥٩ بكيان اسمه العرب وبشيء ينتمي اليه هو الثقافة العربية.

صحيح ايضا ان جمال الدين الافغاني سعى جاهد لدى السلطان عبد الحميد بان تحل اللغة العربية محل التركية ليس في الاقطار العربية حسب بل في دار الخلافة نفسها، الا ان هذه الدعوات ما كانت تمر في حلم العراقيين، حتى ان مجلة "لغة العرب" حين دعت عام ١٩١١ لتأسيس مجمع علمي للغة العربية لم تجد هذه الدعوة اي صدى. لقد كانت اللغة العربية في العراق تمر في ازمة، وقد تنبه الى ذلك محمد رضا الشبيبي منذ عام ١٩١٢ فدعا علماء اللغة العربية (لينشئوا في ابحاثهم لغة تناسب هذا العصر الذي اتضحت فيه اعمال القوى الاجتماعية والطبيعية). وكما يذكر الدكتور عبد الله فياض فان الصحافة في هذه الفترة قامت (بدور لا يستهان به في تيقظ الافكار وفي توسيح افق القراء بخصوص ما يجري في العالم الذي يعيشون فيه من حركات سياسية واجتماعية، وقد صحب ازدياد الوعي الفكري في العراق نتيجة لجهود الصحافة وغيرها من وسائل التثقيف اتساع في دائرة الوعي السياسي في البلاد).

باختصار، فان ما قامت به الصحافة العراقية خلال السنوات الاخيرة من العهد العثماني على ضالته يشكل الاساس الذي انطلقت باتجاهه الصحافة بعد عقد من الزمن. ولم تكن تلك الدعوات الإصلاحية التجددية تمر بهدوء بل غالباً ما اثيرت في وجهها السدود سواء من السلطة او من عامة الشعب.

ابراهيم صالح شكر

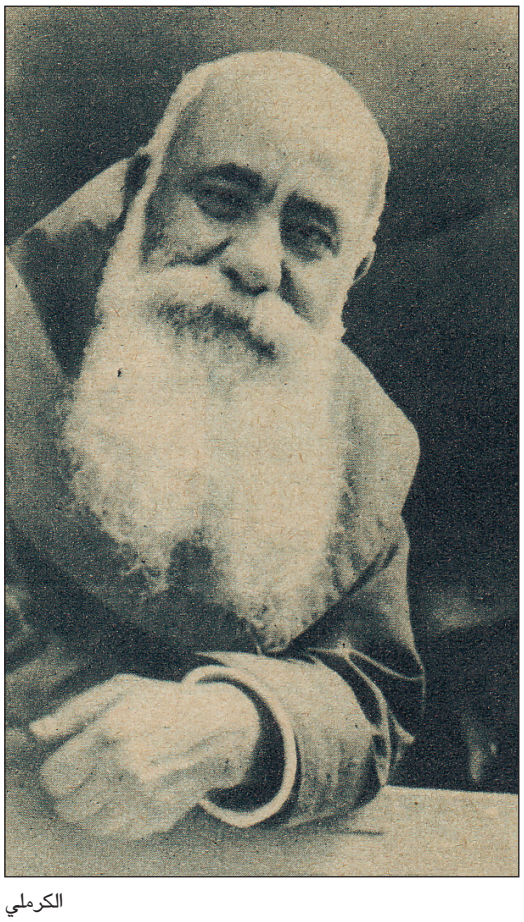
الكرملي

اول اضراب في تاريخ الصحافة العراقية

شهاب احمد الحميد
مؤرخ الطباعة العراقية

ما ان تم القضاء على حركة مايس ١٩٤١ التحررية . واستكملت قوات الجيش البريطاني احتلالها العسكري لبغداد للمرة الثانية ، حتى خضعت الصحف ، المجلات ، وسائر المراسلات والمطابع الى رقابة عسكرية شديدة ،

وقيدت الحريات العامة وزج المئات من اصحاب الرأي والفكر ، والصحافة في السجون وابعد العشرات منهم وازدادت الحياة سوءا بعد ان توقفت عن الصدور صحف عدة تعرض عمال المطابع جرائها للبطالة وتفاقمت الازمة المعاشية للمواطنين بعد ان دخل بغداد في غضون شهر حزيران نحو مئة الف جندي عسكروا الى الجانب الغربي منها – اي في الكرخ –واحتل ضباطهم معظم الدور الحديثة المجاورة لمعسكرهم فارتفعت اسعار الحاجيات ارتفاعا فاحشا، وتعذر على الطبقتين الفقيرة والمتوسطة العيش بيسر فانصفت الوزارة الموظفين والمستخدمين بزيادة مرتباتهم غير ان تلك الزيادة لم تجد نفعا اسعار المواد الاساسية تضاعفت عشرات المرات بشكل متصاعد ومستمر ومما زادالطين بلة ان عددا من الاعيان والنواب ، والوزراء ، وكبار الموظفين نزلوا الى الاسواق لشراء المواد واحتكارها مما تسبب في تعميق الازمة المعاشية للمواطنين بشكل لايطاق فاصدرت وزارة الشؤون الاجتماعية بيانا الى متصرفي الالوية كافة رجت فيه استفزاز حمية ارباب الشهامة والمروءة لجمع التبرعات المستعجلة لمساعدة الفقراء الذين نكبوا بارتفاع الاسعار العامة ارتفاعاً فاحشا ادى الى انتشار المجاعة والامراض بين الطبقة الفقيرة من الناس وبالرغم من قسوة الجوع فقد كانت اصابع المواطنين تشير بالاتهام الى الجيش البريطاني الذي تسبب وجود اعداده الضخمة في بغداد بارتفاع الاسعار ، ووخلق الازمة المعيشية مما حدا بالسفارة البريطانية ببغداد الى اصدار بيان مطول نفت فيه تلك الشائعات التي كانت تتردد على السنة المواطنين .وفي مطلع ١٩٤٢ ومع زيارة (ولتر مدنكتون) الرئيس الاعلى لادارة الرعاية البريطانية في الشرق الادنى الى العراق . وهو الذي كان يغدق على بعض الصحفيين المال الجزيل كلما اجتمع اليهم ووجههم التوجيه اللازم ، بدت الحياة اكثر قسوة من اي وقت مضى حيث اعلنت الوزارة السادسة التي شكلها نوري السعيد في حينها باضطهاد الوطنيين والاحرار واصبح شغلها الشاغل وهمها الوحيد تسيير المصالح البريطانية واعلان الحرب على دول المحور ، ومكافحة الافكار الفوضوية والهدامة . في الوقت الذي ضاقت فيه الحياة بالطبقة العاملة وشهدت الحركة الطباعية اسوا كساد في تاريخ العراق الحديث حيث اصبحت فيه الاجور التي يتقاضاها عمال المطابع لاتتناسب والاسعار المحلية السائدة ، وكانت الاوضاع العامة سيئة جداً بحيث اعتبرت فيه مديرية الرعاية (قيام مديرية السجون بانتاج الصمون لتخفيف وطأة ازمة الخبز في العاصمة) مكسبا من مكاسب الوزارة السعيدية للترفيه عن المواطنين .(وبالرغم من وجود قانون العمل فقد كان عمال المطابع يعملون بدون وقت محدد .. يأتون الى مطابعهم في الصباح ويخرجون في ساعة متأخرة من الليل .. وفي ايام جلسات المجلس النيابي يحمل عمال مطابع الصحف هموما متزايدة ، حيث كانت الصحف تتسابق في نشر اكبر مساحة من الخطابات . منها ما ينشر من خطب المعارضة ومنها ما ينشر من خطب المؤيدين للوزارة وبالاضافة الى ذلك ساعات الحالة المعاشية لعمال المطابع ، وعمت البطالة جميع اصناف مهنة الطباعة وقد بدأت الصحف تصدر باربع صفحات لقلة الورق .وتعطلت الكثير من المطابع لعدم وجود الادوات الاحتياطية .. وهكذا غدت الحياة اكثر قسوة من اي وقت مضى وعلى الرغم من قلة عدد عمال المطابع ، الا ان معظمهم كان يقرأ ويكتب ، فيها كان بعضهم يمتلك جذوراً ثقافية ومنهم من تعلم اموراً كثيرة بحكم طبيعة المهنة ، وارتباطها بحركة تطور الثقافة والفكر والادب على المستويين القومي – والطبقي . لهذا كله لعب عدد من عمال المطابع دوراً كبيراً .. ومؤثراً في تدارك الامور وكانت طبيعة تواجدهم في المناطق الشعبية من بغداد تسمح لهم بعقد اللقاءات وتبادل الاراء حول ضرورة وضع حد لضائقتهم المعاشية فاتخذوا من مقاهي عدة في بغداد مقرات لتجمعهم مثل مقهى ياسين في شارع ابي نؤاس واخرى في الصالحية ، وثالثة في جانب الرصافة بالقرب من مطبعة الحكومة ومقاهي شارع المتنبي والميدان بالاضافة الى اتخاذهم مسكن احد شعراء عمال المطابع مقرا للاجتماعات المهنية النقابية يلوذون اليه كلما وجدوا مضايقة من شرطة التحقيقات الجنائية . وفي عطلة يوم الجمعة المصادف ٢٩ تشرين الاول ١٩٤٢ اجتمع بعض عمال المطابع وكان معظمهم من العمال المرتبين من مختلف الاتجاهات الوطنية والقومية والديمقراطية للتشاور فيما بينهم بشأن وضع حد لاوضاعهم الاقتصادية المتدهورة ، ونتيجة للمشاورات السريعة قاموا بتنظيم مذكرة تضمنت جملة من المطاليب كان اولها زيادة رواتبهم بمعدل لايقل عن ٢٥٪ وتحديد ساعات العمل في جميع المطابع الاهلية بثمان ساعات ، ودفع مخصصات الاعمال الاضافية ومنحهم الاجازات المرضية والاعتيادية ، والالتزام بقانون العمل رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٦ . وقد انبثقت من بينهم لجنتان تشكلتا للمتابعة وتنظيم الاتصالات مع اصحاب المطابع الاهلية ، وللتفاوض مع وزارة العمل والشؤون الاجتماعية ، وبعد تمحيص المذكرة تم تبليغ الجهات ذات العلاقة بان عدم تنفيذ المطالب خلال ٤٨ ساعة سيؤدي الى اعلان الاضراب العام . وسوف لن يعود عمال المطابع الى اعمالهم مالم تتحقق مطاليبهم كاملة لهذا فقد ابدت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية اهتماماً كبيراً حال تقديم الطلب في يوم السبت الموافق ٣٠/١٠/١٩٤٢وفي مساء اليوم نفسه اجتمع المتفاوضون فتبين لهم اولا : ان وزارة العمل : تؤيد مطاليب العمال بتطبيق قانون العمل ولكنها تتمنى عدم القيام بالاضراب . ثانيا: ان اصحاب المطابع لم يهتموا للامر باديء ذي بدء ، واعتقدوا بانهم يتمكنون من التفريط بالحقوق المشروعة لعمال المطابع من خلال المماطلة والتسويف ، وكان اشدهم قساوة وتعجرفا اولئك الذين اصبحوا اصحاب مطابع اثناء الحرب وكانوا عمالا قبلها ! وكان لسماع عمال المطابع نتائج المفاوضات وقع كبير في نفوسهم ، ورفع معنوياتهم ، فازدادوا تماسكا بحيث اصبحوا على مطلق الاستعداد لاعلان الاضراب ، بل انهم اخذوا يترقبون اللحظات التي تعلن انتهاء المدة المحددة لاعلان اضرابهم التام والشامل ، ليبرهنوا على قوتهم ووحدتهم وتفانيهم في النضال من اجل الحصول على مطاليبهم المشروعة ، وكان يوم الاثنين الموافق الثاني من تشرين الثاني عام ١٩٤٢ يوما ساخنا ليس في تاريخ الحركة النقابية لعمال العراق فحسب بل في تاريخ العراق كله .. بما شهد من احداث مثيرة تجاوزت في ابعادها ومؤثراتها تاريخ الصحافة والطباعة . ففي ذلك اليوم اعلن العراق الحرب على دول المحور الثلاث ، وحين خرجت الصحف مزدانة بعناوين بارزة لخطاب العرش الذي القاه الوصي عبد الاله مفتتحا به مجلس الامة قائلا (فقضية الامم المتحدة ، هي قضية الامة العربية وكل ما ورد في ميثاق الاتلانتي ، وخطب رئيس وزراء بريطانيا ، ورئيس جمهورية الولايات المتحدة ، ووزير خارجية بريطانية ، واخيراماسمعه مجلس الامة البريطاني من المارشال سمطس رئيس وزراء جنوبي افريقيا ينطبق كله على سياستنا الخارجية) ،كان عمال المطابع يرددون بعض كلمات الاستهجان لخطاب العرش ، وهم يعانقون نور الشمس لاول مرة في حياتهم ويداعبون خيوطها في وضع الظهيرة ، بعد ان تركوا جميعا دياجير الظلام التي تقبع بها مطابعهم في تلك السراديب المعتمة ذات الرائحة المتعفنة التي تنبعث من الجدران الرطبة ، معلنين اضرابهم التام والشامل ،فقد لازم معظمهم دور سكناهم ونظم فريق اخر منهم سفرات جماعية حشدوا فيها بعضا من الذين يخشى من تعاونهم مع السلطة البائدة ، وقد بذلت اجهزة القمع السعيدية ، ولاسيما الشرطة الجنائية كل ما في وسعها لكسر الاضراب ملاحقة عمال المطابع والصحفيين التقدميين ، مستعينة ببعض اصحاب المطابع وبعض العاملين باللزمة فيها ، ولكن كل تلك الجهود ذهبت هدراً . ولما كانت وسائل الارهاب لم تجد نفعا ، وخشية ان يستمر الاضراب وتتعمق ازمة السلطة ، وتتعالى اصوات النقد والاستنكار لمظاهر الاحتلال البريطاني الجديد، طلب وزير الشؤون الاجتماعية احمد مختار بابان من الاستاذ مصطفى جواد الذي كان يشغل منصب ملاحظ العمل في الوزارة والاستاذ هاشم جواد مميز العمال (التوسط لدى العمال المضربين) من خلال لجنة الاضراب ، وبالفعل فما كادت شمس تشرين تنحسر خلف الافق حتى كان لفيف من العمال على موعد مع الوزير الذي استقبلهم بكلمات الترحاب وخاطبهم وهكذا تم الاتفاق على اصدار البيان المشترك التالي . الى / مميز العمال بوزارة الشؤون الاجتماعية . لقد تفضل معالي وزير الشؤون الاجتماعية فقابلنا نحن ممثلي عمال المطابع وبين لنا ان ما طلبناه في عريضتنا المقدمة الى وزارة الشؤون الاجتماعية بتاريخ ٢٦/١٠/١٩٤٢ حول زيادة اجورنا كان قد جرى الاتفاق عليه بين الوزارات المختصة واصحاب الصحف والمطابع ، واننا ابتداء من هذا الشهر سننال مخصصات غلاء المعيشة مقدارها ٢٥ بالمئة (خمسة وعشرون بالمائة) وكذلك فانه سينطبق في احوال عملنا جميع ما نص عليه قانون العمال وتعديله .، لهذا وقع على هذا الكتاب عن جميع عمال المطابع ونتعهد بالاتصال بجميع العمال المذكورين لافهامهم ذلك وعودتهم الى العمل هذا اليوم اليوم ٣/١١/١٩٢٤ محمد اسماعيل وحسين علي الناصر .. عن العمال . وقد تم طبع الكتاب المذكور ووزع على جميع العمال واصحاب المطابع في تلك الليلة . ومع هذا فلم تصدر في صبيحة اليوم التالي سوى صحيفة واحدة عمد عمال المطابع على اخراجها بصفحة واحدة تأييدا لاضرابهم فنشرت تلك الصحيفة خبر الاضراب في المكان المخصص لافتتاحيتها تحت عنوان بارز ، هو (اضراب عمال المطابع) الذي جاء فيه :- (اضرب امس عمال المطابع لتاييد مطاليبهم المتضمنة زيادة اجورهم بمناسبة غلاء المعيشة وتحديد ساعات العمل اليومي بثمان ساعات ودفع اجور اضافية اذا زادت مدة العمل على ذلك ، وهذه مطاليب مشروعة سبق لمطبعة الاهالي ان قبلت بها تجاه عمالها ، ونأمل ان تقبل بها سائر المطابع قريبا لان اسعار ضرورات المعيشة قد تضاعفت واصبحت اجور العامل لاتسد حاجاته الضرورية بمفرده) ولم تصدر هذه الجريدة بشكلها الاعتيادي لان عمال المطبعة وان لاقوا منها تأييد لمطاليبهم لم يريدوا ان ينفرطوا عن زملائهم ويستأنفوا العمل قبل ان ينال جميع عمال المطابع مطاليبهم المحقة. وقد علمنا اخيراً ان الحكومة توسطت بالامر فقبل سائر اصحاب المطابع بمطاليب العمال ونأمل ان ينتهي هذا قريبا).

وهكذا خاض عمال المطابع اول اضراب في تاريخ الصحافة والطباعة في العراق.

الصحافة الساخرة في العراق

جميل الجبوري
باحث واديب

معروف ان تاريخ الصحافة العراقية متسع طويل، وان جذوره تمتد الى مديات بعيدة في اعماق القرون التي حفظتها الاسفار، لذلك فلست هنا بمحاول مواكبة ذلكم التاريخ ولكني – اتمنى- ان اوفق الى تسجيل مقدمة مناسبة توصلني الى موضوعي الاساس.. صحافة الهزل في العراق.. قديمها وحديثها وقدر تعلق الامر بالقديم من تاريخها فان بعض ممن كتبوا في هذا المجال يرجعون بداياتها الى العصر البابلي، كما انهم يشيرون الى انه قد وجد في ودائع خزانة الامبراطور (آشور بانيبال) في نينوى سجلات مفصلة ومنسقة حسب حوادثها وتواريخها، ولقد ذهبوا الى انها تمثل الصحافة او ما يقوم مقامها.

ويرى آخرون- ومن بينهم المؤرخ الامريكي الثقة، بريستد – ان معظم تلك الاخبار كان يقصد بها نشر دعوة او الترويج لمبدأ.

وعلى هذا الاساس، فهم يحسبون لسكان العراق القدماء صحافتهم. ونجد صحيفة من هذه الصحف الخالدة تحوي جانبا من قصة الطوفان: مكتوبة على رقم الطين المشوي في المتحف البريطاني بلندن، وقد اخذت من المكتبة الامراطورية المشيدة قبل مايزيد على الالفين والخمسمائة سنة، ويذهب بعض المعنيين الى ان للآشوريين سبقهم في ابتداع الصحافة المصورة حيث كانوا يرقمون حوادث انتصاراتهم وبجانب الرقم يصورون بالالوان الاسرى من الملوك او الرعايا ويعرضونها في قصورهم وابهائهم العامة وشوارعهم الكبرى، ويجد المرء نماذج من هذه الرقم الطينية المصورة في متحفي بغداد ولندن.

ويرى آخرون ان نقل الاخبار مشافهة او نسخها قبل اختراع الطباعة هو لون من الوان الصحافة المبكرة.

وتتعدد الاراء والاجتهادات في هذا المضمار وتتنوع، لكن الصحافة في العالم العربي بشكل عام عرفت اول ما عرفت، في مصر بالمعنى الذي تدل عليه الكلمة –يومذاك- حيث اسس (محمد علي باشا) جريدة (الوقائع المصرية) عام ١٩٢٨م. ثم في العراق على يد الوالي التركي (مدحت باشا) الذي انشأ فيه اول جريدة باسم (زوراء) في عام ١٨٦٩م وجعلها لسان حال الولاية، ولقد استمرت زوراء في الصدور مدة تقارب الـ(٤٨) عاما حتى بلغ مجموع ماصدر منها (٢٦٠٧) اعداد تفاوتت في مستوياتها وفق المراحل الزمنية التي صدرت فيها وطبيعها، كما شهدت بغداد، ومدن العراق الاخرى في الفترات اللاحقة صدور مجموعة كبيرة من الصحف يضيق المجال بنا هنا ان نحن اتينا على ذكرها.. لكن الامر الذي يعنيناهو: صحافة الهزل: وهي ما سنقف عندها –جهد الامكان- في الاتي من الصفحات.

ولان العراق مر خلال تاريخه الطويل، بمآسي ومحن كثيرة، فقد اثرت كثيرا في طبيعة ابنائه وصيرتهم اقرب الى روح الجد من الهزل واميل الى الحزن من المسرة،، فمتصفح تاريخ العراق يجد انباء نكبات الغزاة والويلات التي اصابت البلاد من جراء عدوانهم عليها واخبار الاوبئة والامراض ومصائبها واوضار الفيضانات واخطارها.. والكثير الكثير مما يولد في النفس الغصة ويبعث في القلب الشجن.

ولعل ذلك كله هو الذي طبع حياة العراقي بالطابع الجاد الذي لايخلو من بعض سمات الحزن والالم..

نجدها واضحة في امثال الـ شعب ومعانيه المتداولة واقواله المأثورة.. بل حتى في اهازيجه واغانيه ولعلنا لا نبعد عن الصواب اذا ما قلنا ان.. (النكتة العراقية) ايضا اتصفت بالغصة المكبوتة والسخرية المريرة.

واوضح ان الهزل الهادف والكركتور البناء فن صحفي له اسسه ومقوماته، وقد لعب دورا كبيرا في تاريخ الصحافة العالمية وادى للمجتمع خدمات جلى وهو على ذلك غير التعريض السمج او الشتائم والسباب التي عرفتها بعض حول الصحف في فترات سابقة من عمر الصحافة العراقية الامر الذي اخرجها عن مهمتها السامية التي وجدت من اجلها.

ولئن شهد عالم الصحافة العراقية عناوين كثيرة لصحف ارادت او حاولت اتسام مسيرتها بسمة الهزل الهادف، لكن الواقع يؤشر عناوين محدودة، وربما محدودة جدا، لصحف وصلت او كادت ان تصل الى ذلك المستوى الذي تمناه اصحابها لها، ولقد حاول اغلب صحاب صحف الهزل والكريكتور في العراق تقليد صحف (استانبول) لانها كانت عاصمة السلطنة وفيها تصدر ابرز الصحف التي تستقي ما تنشره من ثقافات ومعارف غربية بالاضافة الى المبتكر المحلي، لكنهم اخفقوا ولم يستطيعوا المحاكاة الناجحة، ولا استطاعوا ان يبتكروا من ذاتهم ولا ان يبدعوا او يجودوا حصيلة معرفتهم الخاصة، ولعل ذلك كون فن الهزل والكريكتور في الصحافة فن وجد ونما في العالم الغربي وقد كانت ثقافة اغلب اصحاب هذه الصحف ثقافة عربية بحتة، الامر الذي اغلق امامهم ابواب الاطلاع على الجديد في هذه المجالات..

تلك مقدمة لابد منها للدخول الى عوالم صحافتنا العراقية التي اختارت لنفسها طريق الهزل الناقد والنقد الهازل، واسفا اقول التي تنطبق عليها مواصفات الجريدة الهازلة الناقدة، من جرائدنا ليست كثيرة.. ومارسمت على الطرق اثار اقدامها عدا تلك الثلاث الكبار.. والرابعة الرائدة.. والمميزة.

اما الثلاث فهي جرائد:

كناس الشوارع ابو حمد، الكرخ واما الرابعة الرائدة والمتميزة فهي جريدة (حبزبوز).

ولذلك، فمعذرة اذا ما وقفت فيما اكتبه عند هذه الحدود لاني اكتب ما توصلت اليه من استنتاجات من خلال دراسات جادة ومتأملة ودقيقة.

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
نائب رئيس التحرير: عدنان حسين
مدير التحرير: علي حسين
هيئة التحرير: باسم عبد الحميد حمودي . رفعت عبد الرزاق
الاخراج الفني: نصير سليم التصحيح اللغوي: مروان عادل
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون